العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة الصفارية

د/ رضوان احمد مصلح الليث*

التمهيد :

تنسب الدولة الصفارية إلى أبي يوسف يعقوب بن الليث الصفاري (٢٣٧-٢٦٥هـ/٨٥٢-٨٧٨م) ، وكان في بداية أمره وأخاه عمراً يعملا صفارين١، في صناعة النحاس ، وقيل أن عمرو كان مكارياً٢(يكري الحمير) ، ثم التحق يعقوب بالمتطوعة ، وهم عبارة عن فرقة عسكرية ، مهمتها مساعدة الخلافة العباسية في قتال اللصوص ، وقطاع الطرق ، والخوارج الذين أثاروا الفوضى في إقليم سجستان٣ عندما ظهر عجز الخلافة وولاتها من بني طاهر٤، ولكن قائدها صالح بن النضر الكناني ، أستغل هذه الفرقة لتحقيق أهدافه الشخصية في تكوين إمارة خاصة به ، ويتضح ذلك من خلال سيطرته على سجستان ، ولكن الأمير الطاهري على خراسان طاهر بن عبد الله استعادها منه٥ ، ومع ذلك ظلت هذه الفرقة تقاتل الخوارج باسم الخلافة ، وبرزت شخصيته يعقوب بن الليث من بين جنودها لشجاعته في القتال فارتفعت مكانته حتى صار نائبا لصالح بن النضر ، وبعد وفاته تولى قيادة

---

* أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته المشارك قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة صنعاء

١ – المسعودي . علي بن الحسين (ت٣٤٥هـ/٩٥٦م): مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ج٤، ص١١٢، دار الأندلس، بيروت ، لبنان . ابن خلكان . أبو العباس احمد بن محمد بن أبي بكر(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٦، ص٤٠٢، تحقيق/إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان . الصفدي. صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، ج٢٨،ص٥٣،تحقيق/احمد الأرناؤوط – تركي مصطفى، ط١/ ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.اليافعي. أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي(ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان،ج٢،ص١٨٠،وضع حواشيه/خليل المنصور ،ط١/١٤١٧هـ/١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢ – القزويني . زكريا بن محمد بن محمود(ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م) : آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٢٨، دار بيروت ، لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م . الذهبي. محمد بن احمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) : سير أعلام النبلاء ،ج١٢، ص٥١٦، تحقيق/شعيب الأرنؤط ، محمد نعيم العرقسوسي، ط١/ ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

٣ – سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة ، وهي جنوبي هراة(ياقوت الحموي. أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) : معجم البلدان،ج٣، ص٢١٤ تحقيق/فريد عبد العزيز الجندي، ط١/١٤١٠هـ/١٩٩٠م، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان) .

٤ – ابن خلدون . عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): تاريخ ابن خلدون، ج٤،ص٣٢١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ،١٣٩١هـ/١٩٧١م .

٥ – ابن الأثير. أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):الكامل في التاريخ، ج٦، ص١١٤، تحقيق/أبي الفداء عبدالله القاضي ، ط١/١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

المتطوعة درهم بن الحسين ، وكان يعقوب بن الليث نائبا له أيضا، وبعد درهم تولى يعقوب قيادة فرقة المتطوعة سنة ٢٣٧هـ/٨٥٢م .

وهناك رويتان مختلفتان حول تولي يعقوب بن الليث قيادة المتطوعة ، الأولى : تذكر أن درهم بن الحسين لم يكن بنفس كفاءة سلفه، وظهر عجزه وضعفه في تدبير أمور الفرقة في قتال الخوارج ، فتم عزله من قبل الجند ، ووقع اختيارهم على يعقوب لتولي قيادة الفرقة ، حيث " ملكوه أمرهم لما رأوا من تدبيره وحسن سياسته وقيامه بأمورهم"١، ولم يحدث رد فعل من قبل درهم بن الحسين من اعتراض أو إعلان تمرد ، لكنه استسلم للأمر الواقع .

بينما الرواية الثانية : تذكر أن درهم بن الحسين عندما عظم شأنه وكثر أتباعه ، وأصبح يشكل خطراً في المنطقة ، خاف منه الولاة المجاورين له على أملاكهم بمن فيهم الطاهريين ، وحتى يزال ذلك الخطر تم القضاء عليه بطريقة سياسية ، وليس بالطريقة العسكرية ؛ نظراً للقوة العسكرية التي يمتلكها لعدم قدرتهم على إزالتها ، لذلك احتال عليه محمد بن طاهر أمير خراسان حتى قبض عليه ، وتم إرساله إلى بغداد فحبس فيها ثم اطلق سراحه ، بعدها أعتزل السياسة وخدم الخليفة ولزم بيته وتفرغ للعبادة ، ونتيجة لذلك الفراغ في الفرقة تم اختيار يعقوب بن الليث من قبل المتطوعة ليكون قائداً لهم ، لأنه كان نائباً لدرهم٢ .

وأمام هاتان الرويتان نستبعد الرواية الأولى لأنها تصور درهم بالرجل العاجز والضعيف الذي لا يمتلك الكفاءة في السياسة والتدبير ، وإذا كان بهذه الصورة كيف تولى منصب النائب لصالح بن النضر ، ثم كيف تم اختياره لتولى قيادة المتطوعة وهو عاجز وضعيف ، ولذلك نميل إلى الرواية الثانية كونها أقرب للواقع ، فلم يتم التحايل عليه من أجل القبض عليه من قبل محمد بن طاهر أمير خراسان ، إلا لدهائه ومكره في التعامل مع أعدائه ولو كان الأمر خلاف ذلك لما تم التخطيط للقبض عليه .

وكيفما كانت الطريقة التي تولى فيها يعقوب بن الليث قيادة المتطوعة ، نجده يتمكن من الحاق الهزائم بالخوارج حتى أفناهم، وثبت سيطرته على سجستان ، وحرضه أهلها على مهاجمة الأتراك لأنهم أخطر من الخوارج ، فلبى مطلبهم وهاجم الأتراك وحقق النصر عليهم حتى أنه قتل ثلاثة من ملوكهم ،

---

١ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١١٥. أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل(ت٧٣٢هـ/١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٥٢، مكتبة المتنبي، القاهرة.

٢ - ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٦، ص١١٥. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٠٢. . الذهبي: تاريخ الإسلام ، ص٢٠٤، تحقيق/الدكتور عمر عبدالسلام تدمري، ط٢/١٤١٥ه/ ١٩٩٤م ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. الصفدي : الوافي ، ج٢٨،ص٥٣.

لذلك قصده العساكر للعمل في خدمته ، فقويت شوكته وارتفع شانه في المنطقة، حتى أن الملوك المجاورين هابته١.

وبعد تأسيس الدولة الصفارية وقيامها ، كانت العلاقة بينها وبين الخلافة العباسية مختلفة عن بقية الدويلات الإسلامية التي قامت في المشرق ، التي قامت على أساس الولاء والطاعة ، والاحترام النابع من الدين للخلافة ، وعدم التمرد عليها أو الرغبة في التخلص منها ، بينما نجد العلاقة بين الدولة الصفارية والخلافة العباسية ، تمر بأطوار مختلفة دون غيرها من بقية الدويلات الإسلامية ، فمرة تكون حسنة ، ومرة تكون سيئة ، حتى وصل الأمر بيعقوب بن الليث إلى إعداد جيش ، والخروج إلى بغداد لقتال خليفة المسلمين ، وهذا ما لم يجرؤا عليه أحد غيره من أمراء الدويلات الإسلامية ، لذلك صارت الخلافة خائفة ومرتابة من الصفاريين حتى وان تقربوا منها وحرصوا على إعلان الولاء لها ، فكانت هذه العلاقة منذ بداية قيام الدولة الصفارية وحتى سقوطها ، تمر بتقلبات ومنعطفات سياسية تثير الانتباه وتستحق الدراسة ، لمعرفة الأسباب ؟ والأحداث ؟ والنتائج لتلك العلاقة ، لذلك قسم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسية هي :

المحور الأول : العلاقة بين الخلافة والدولة الصفارية في عهد يعقوب بن الليث .

المحور الثاني : العلاقة بين الخلافة والدولة الصفارية في عهد عمرو بن الليث .

المحور الثالث : العلاقة بين الخلافة والصفاريين بعد عمرو بن الليث .

العلاقة بين الخلافة والدولة الصفارية في عهد يعقوب بن الليث :

بعد وصول يعقوب بن الليث إلى قيادة فرقة المتطوعة ، وبسط نفوذه على كل سجستان٢ ، أراد التوسع في بلاد جديدة ، وحتى لا يثير الناس والدول المجاورة له ، سعى إلى أن يصبغ أعماله بالشرعية حتى تكون مقبولة من الجميع ، فكان يظهر الولاء والتمسك بطاعة الخليفة العباسي ، وكان يقول أنه لا يقاتل إلا بأمر الخليفة وأنه أمره بقتال الشراة٣، ويذكر ابن خلدون١ أنه طلب من الخليفة ولاية

١ – ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٠٣.

٢ – نظام الملك الطوسي . الحسن بن علي بن إسحاق(ت٤٨٥هـ/١٠٩٧م): سياست نامه أو سير الملوك ، ص٥١، ترجمة الدكتور/يوسف حسين بكار ، ط٢/١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر .

٣ – الشُّراةُ : الخوارج ، سُمُّوا أنفسهم شراة لأنهم أرادوا أنهم باعوا أنفسهم لله ، وقيل سموا بذلك لقولهم إنا شرينا أنفسنا في طاعة الله ، أي بعناها بالجنة (ابن منظور. محمد بن مكرم بن علي(ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، ج٤، ص٢٢٥٣، تحقيق/عبدالله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة) . ابن الأثير : الكامل ، ج٦، ص١١٤.

سجستان " وأن يقلده حرب الخوارج فكتب له بذلك وأحسن الغناء في حرب الشراة وتجاوز إلى سائر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ، والمدخل له في الوصول إلى الإمارة طلب تقليد بحكم سجستان حتى يكون حربه مع الخوارج على أساس من الدين ، فتمت الموافقة ليكون مساعد للطاهريين في حرب الخوارج .

وبعد أن اشتدت شوكته في سجستان، بفضل طاعة اتباعه له ، لمكره ودهائه لحسن سياسته وقيامه بأمرهم ، لم يعد هم يعقوب بن الليث قتال الخوارج ومتابعتهم للقضاء عليهم ، فقد صار همه متابعة الولاة التابعين للطاهريين والاستيلاء على البلاد التي يحكمونها وضمها إلى حكمه ، فقام بحملة سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م على هراة٢ لم يذكر عن تفاصيلها٣، لكنها بالتأكيد تهدف لضمها إلى ملكه الذي يسعى إلى تكوينه ، لكنه لم يستطع لقوة بني طاهر في خرسان ، وعلى الرغم من فشله إلا أنه لم ييأس ، فقد كرر المحاولة ونجح في الاستيلاء عليها سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م ، بعد معركة مع عاملها محمد بن أوس الأنباري ، وساعده في تحقيق هدفه موت محمد بن عبدالله بن طاهر كبير الطاهريين على م في صراع حول من يخلفه ، إضافة إلى اضطراب أحوال الخلافة لدخولها في صراع مع الأمراء الأتراك في بغداد ، الذي أدى في النهاية إلى نفي الخليفة المعتز إلى البصرة ، ثم إعادته إلى بغداد٤، وشجع هذا الصراع يعقوب على التوسع أكثر فقام بالاستيلاء على بوشنج وما والاها٥ في السنة نفسها٦، وبعد انتصاراته تلك عاد إلى سجستان ومعه اسرى من بني طاهر ، فقوي شأنه بعد استيلائه على هاتين المدينتين ، وصار مرهوب الجانب من محمد بن طاهر أمير خراسان ، وأمراء البلاد المجاورة له .

وعلى الرغم من الضعف الذي تعاني منه الخلافة العباسية ، وسكوتها عن سقوط هراه وبوشنج التابعتين لبني طاهر ، لكنها لم تسكت عما ارتكبه يعقوب مع حلفائها الطاهريين من أسر ، وكان لابد من الصدام معه لحمايتهم ؛ كونهم يحاربون الخارجين عنها، ويحمون الثغور الشرقية لدار الإسلام ،

---

١ - تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢١.

٢ - هراة : مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان(ياقوت الحموي : معجم البلدان،ج٥،ص٤٥٦).

٣- الطبري. محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الأمم والملوك،ج١٠، ص١١١، ط١/١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار الفكر، بيروت، لبنان. ابن الأثير : الكامل ، ج٦، ص١٥١.

٤ - الطبري: تاريخ الأمم والملوك،ج١٠، ص٢٤٢. ابن الأثير : الكامل ، ج٦، ص١٩٢.

٥ - بوشنج : بليدة في وادي مشجر من نواحي هراة(ياقوت الحموي : معجم البلدان،ج١،ص٦٠٢).

٦- ابن الأثير : الكامل ،ج٦، ص١٩٣. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٤٠٤. أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٤٢.ابن الوردي. زين الدين عمر بن مظفر(ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): تاريخ ابن الوردي ،ج١، ص٢٢١، ط١/ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الصفدي : الوافي ، ج٢٨،ص٥٣-٥٤. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٢.

حيث أرسل الخليفة المعتز بالله(٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٩م)، ابن بلعم وهو شيعي برسالة إلى يعقوب يطلب منه اطلاق المأسورين لديه من بني طاهر ، فلم يكن أمامه سوى الامتثال لطلب الخليفة واطلقهم١، حتى يظهر حسن طاعته وولائه للخلافة ، وأنه لا يريد الدخول في صدام معها .

وبما أن الخلافة لم تعترض عند استيلاء يعقوب على هراه وبوشنج التابعتين للطاهريين ، و لم تطلب منه الخروج منهما ، وإنما اكتفت فقط بمطالبته بأطلاق الأسرى منهم ، فقد شجعه ذلك على التطلع إلى الاستيلاء على العديد من المدن مثل : كرمان٢ وفارس ، ولتحقيق هدفه تقرب من الخليفة المعتز بالله وأرسل له بهدية عظيمة عبارة عن مسجد فضة يصلي فيه خمسة عشر إنساناً ، وسأل في الوقت نفسه أن يعطى بلاد فارس ، مقابل خمسة عشر ألف ألف درهم٣ .

وتصور أنه بهديته تلك وعرضه المغري أن الخلافة ستوافق على طلبه ، لكنها رفضته خوفا منه ولأن إقليم فارس يتبعها مباشرة، ويحكمه نيابة عنها علي بن الحسين بن شبل بن قريش ، وحتى لا يزداد طمع يعقوب أكثر في المزيد من البلاد ، وكانت الخلافة تحس بخطورته عليها منذ بداية ظهوره

إن أوضاع الخلافة السيئة ساعدت على ظهور منافس جديد ليعقوب هو علي بن الحسين بن شبل والي فارس من- وكان قبل ذلك من عمال بني طاهر- الخلافة ، الذي رأى يعقوب بن الليث يتوسع في السيطرة على البلاد دون محاسبة من الخلافة ، فحدث نفسه في السير على طريقته ، فأخذ يتطلع إلى حكم مناطق جديدة ، ولتحقيق غرضه طلب من الخليفة العباسي المعتز بالله تقليداً بحكم كرمان ، معللاً ذلك بعجز محمد بن طاهر أمير خراسان عن حمايتها من الخوارج ، وأن يعقوب قد غلبهم على سجستان ، فتمت الموافقة على طلبه وأرسل له الخليفة التقليد ، وفي الوقت نفسه أرسل الخليفة المعتز بالله تقليداً ليعقوب بن الليث بحكم كرمان٤ .

لقد قامت الخلافة بهذا الإجراء لأن كل واحد من الرجلين يظهران طاعتهما للخلافة ، لكنها تعرف كذبهما وأنهما لا يريدان إلا تحقيق مصالحهما فقط ، لذلك سعت الخلافة إلى ضرب الرجلين مع بعضهما البعض ، بإدخالهما في حرب حتى يتخلص أحدهما على الأخر، فيكفي الخلافة مؤنة الحرب

---

١ - الصفدي : الوافي ، ج٢٨،ص٥٤. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٠٤.

٢ - كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان(ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٤،ص٥١٥).

٣ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٠٥. الصفدي : الوافي ، ج٢٨،ص٥٥.

٤ - الطبري: تاريخ الأمم والملوك،ج١٠، ص٢٤٦. ابن الأثير : الكامل ، ج٦، ص١٩٧. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٢.

التي سيكلفها في القضاء عليه ، وتكون في الظاهر قد أرضت يعقوب وفي الوقت نفسه تم إبعاد خطره عن فارس، وحماية نفسها من قدومه إلى بغداد١ ، وكذلك استجابت لطلب علي بن الحسين بن شبل ؛ للتخلص منه بعدما تقوى شأنه في فارس، وأصبح يتباطأ في إرسال الخراج المقرر عليه٢ .

وبعد حصول يعقوب بن الليث على التقليد سار من سجستان نحو كرمان ، وبالمقابل أعد علي بن الحسين جيشاً بقيادة طوق بن المغلس ، لما علم بخروج يعقوب نحو كرمان ، وكان طوق يستهين بعدوه بل ويستحقره ، ويظهر من خلال رده عليه بعدم الدخول معه في حرب بقوله:" أنت بعمل الصُّفْر أعلم منك بعمل الحروب"٣ ، فعظم ذلك عليه وهجم بجيشه والحق بطوق الهزيمة وتم أسره ، وتمكن يعقوب بن الليث من دخول كرمان والاستيلاء عليها سنة٢٥٥هـ/٨٦٩م٤.

وبعد ضم كرمان إلى ممتلكاته ، تحرك يعقوب بن الليث في السنة نفسها صوب فارس للاستيلاء عليها ، بدون تكليف من الخلافة ، رغم معرفته بوجود والي شرعي معين من قبلها ، مستغلاً الخلاف بين الخلافة وعلي بن الحسين بن شبل ، ولكن إذا وجد الخلاف بينهما فهذا لا يعطيه الحق في ضم فارس إلى حكمه ، أو التدخل في شؤنها ، وكيفما كان الأمر فعندما علم واليها علي بن الحسين بن شبل بتوجه يعقوب نحوه ، اضطرب حاله لعدم قدرته على المواجهة ، وكتب إلى يعقوب كتابا يخبره أن طوق بن المغلس قاتله من دون أمره ، وأنكر أنه أرسله لقتاله ، ثم أخبره بأنه مستعد لتسليمه فارس إذا معه أمر من الخليفة :" إن كنت تطلب كرمان فقد خلفتها وراءك ، وإن كنت تطلب فارس فكتاب من أمير المؤمنين بتسليم العمل لأنصرف . فرد عليه يعقوب : إن كتاباً من السلطان معه لا يتهيأ أن يوصله حتى يدخل البلد وإنه إن أخلى له البلد فقد ودع وأزاح علته ، وإلا فالسيف بيننا والموعد مرج سكان"٥

١- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٢، ص٥٣٤.

٢ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٢٤٦. ابن الأثير : الكامل ،ج٦، ص١٩٧. أبو الفداء: المختصر ، ج٢، ص٤٤. ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ،ج١، ص٢٢٤. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٢.

٣ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٠٦. الصفدي : الوافي ، ج٢٨،ص٥٥.

٤- الطبري: تاريخ الأمم والملوك،ج١٠، ص٢٤٦. ابن الأثير : الكامل ، ج٦، ص١٩٧. الصفدي : الوافي ، ج٢٨،ص٥٥. ابن تغري بردي .أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م):النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ج٣، ص٢٢ وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر .

٥ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٠٧.

إن هذه الرواية توضح أن والي فارس يمتلك تقليد من الخلافة بولايته ، ولضعفه عرض على يعقوب تسليمه فارس إذا أحضر كتابا من الخليفة بولايته عليها ، حتى يكون دخوله بطريقة شرعية ، ولأنه لا يمتلك الكتاب راوغ في الطلب ، وهدده بالحرب إذا لم يسلم فارس، وقبل التهديد رغبه وعرض عليه حكم كرمان إذا لم يدخل معه في حرب ، لكن علي بن الحسين رفض ذلك العرض و لم يكن أمامه سوى العمل على إعداد جيش وتنظيمه للقتال ، وقرر أن يكون القتال خارج مدينة شيراز ، ربما خوفا من انقلاب سكانها ضده ، وعلى الرغم من الاستعداد الكبير إلا أن الهزيمة كانت من نصيبه ، ووقع أسيرا بيد يعقوب الذي قيده ، ثم توجه نحو شيراز عاصمة الإقليم ودخلها والطبول تضرب بين يديه وكأنه سلطان أو ملك١ .

إن ما قام به يعقوب بن الليث يمثل تحدياً كبيراً للخلافة ، لأنه تجاوز أوامر الخليفة بسيطرته على بلاد بدون أذنه ، ولأنه يعرف خطأه في الاستيلاء على فارس ، حاول تخفيف وقعة فعله على الخلافة بالتقرب منها وإطفاء نار غضبها ، ذلك بأنه بعد دخوله شيراز وحضرت الجمعة ، أمر الخطيب بالدعاء للخليفة المعتز و لم يدع لنفسه ، حتى لا يظهر خطره وتخافه الخلافة٢، و لم يكتف بذلك بل بعث إلى الخليفة المعتز بالله كتاباً يعلن فيه طاعته له ، ومعه هدايا جليلة منها دواب وبزاة٣ ومسك٤، وكأنه بهديته تلك يظن أنه سيتجاوز الخليفة عما ارتكبه من مخالفه ، لكنه وجد عكس ما كان يظنه ، حيث لم يقره الخليفة على فعله ، إذ عند عودته إلى سجستان ومعه علي بن الحسين وطوق بن المغلس ، أرسل الخليفة عماله إلى فارس و لم يزيد عن ذلك٥ ، و لم يحدث رد فعل بالمقابل من يعقوب تجاه ما قام به الخليفة ، وكأنه كان يريد معرفة رد فعل الخلافة عن عمله .

لم تستقر فارس فقد اضطربت أحوالها نتيجة لضعف الوالي العباسي الحارث بن سيما، فقد تغلب عليها محمد بن واصل بعد قتل واليها الحارث سنة ٢٥٦هـ/٨٦٩م، وأستغل يعقوب بن الليث ما

---

١ - اليعقوبي . احمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح(ت بعد٢٩٢هـ/٩٠٥م) : تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٥٤، تحقيق/خليل المنصور، ط١/١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان. الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٢٤٦. ابن الأثير : الكامل ،ج٦، ص١٩٧.ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٠٩. الصفدي : الوافي ، ج٢٨،ص٥٦.

٢ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤١٠.

٣ - والْبِزَّةُ : السلاح يدخل فيه الدّرْعُ والسَّيْفُ (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٢٧٤) .

٤ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٢٤٦. ابن الأثير : الكامل ،ج٦، ص١٩٧.ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٢.

د - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٣٥٠. بن الأثير : الكامل ،ج٦، ص١٩٩. ابن كثير. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، ج١١، ص١٧، تحقيق/احمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٢.

جرى فيها فرصة للاستيلاء عليها ، خاصة وأن محمد بن واصل يعد مغتصباً ، ووجد أن الخلافة لم تحرك ساكن ضده ، مما شجعه ذلك على التوجه نحو فارس سنة ٢٥٧هـ/٨٧٠م ، وبسط نفوذه عليها١، وبحكم قوته التي يمتلكها صارت القوى المحيطة به تخشاه وتتجنب الصدام معه ، لذلك تعاملت معه الخلافة بأسلوب سياسي ، حيث انكر عليه ذلك الفعل الخليفة المعتمد على الله(٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٦٩-٨٩٢م) ، وطلب منه الانسحاب من فارس ، وكتب له الموفق أبو احمد _ الذي كان متحكم بأمور الخلافة _ مقابل ذلك ولاية بلخ وطخارستان وسجستان والسند٢ .

وقابل يعقوب عرض الخلافة له بالانسحاب من فارس٣، لأنه استفاد كثيراً من ذلك ، فقد حصل على بلاد جديدة بصوره شرعية منها دون أن يكلفه ذلك شيء ، فكسب رضاها من جهة ، واظهر لها وللناس مدى طاعته وتنفيذه لأوامرها من جهة أخرى ، والحقيقة أن الخلافة عندما منحته بلاد جديدة يرجع إلى خوفها الشديد منه ، وحتى لا تفتح على نفسها جبهة قتال جديدة، إلى جانب جبهة الزنج٤ التي وصل خطرها إلى جنوب العراق ، حيث استولوا على البصرة وقتلوا معظم أهلها وخربوها٥، وقد يكون الإنكار قبل هذه المذبحة .

المهم أن يعقوب بن الليث انصرف إلى البلاد التي منحت له بلخ وطخارستان ، ومنها سار إلى كابل واستولى عليها ، وبعث للخليفة بهدايا جليلة المقدار من بينها أصنام من تلك البلاد٦، ويهدف يعقوب من وراء ذلك إلى كسب ود الخلافة وتطوير علاقته بها ، ويثبت أنه يقوم بالدور نفسه الذي قام به بنو طاهر في خدمتها ، لكنه نسي أن الدولة التي أقامها كانت على حساب الطاهريين ، إلى جانب أنه يشكل خطر عليها ، وبالتالي لا يمكن أن ترضى عنه وعن أفعاله مهما فعل .

---

١ - ابن الأثير : الكامل ، ج٦، ص١٩٩. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٢.

٢ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٣٥٠. ابن الأثير: الكامل ،ج٦، ص٢٣٢-٢٣٣. أبو الفداء: المختصر، ج٢ ، ص٤٨ .ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ،ج١، ص٢٢٦. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٢-٣٢٤.

٣ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٣-٣٢٤.

٤ - الزنج :كان الزنج يستقدمون من الصومال وزنجبار للعمل في الزراعة، وفي سنة٢٥٥هـ/٨٦٨م خرج رجل من الري لقبه بهبوذ مدعيا النسب العلوي وتسمى بعلي بن محمد بناحمد وتوجه إلى سامراء ومنها انتقل إلى البحرين، ودعا الناس إلى طاعته ثم خرج لمحاربة الخلافة العباسية وحقق انتصارات كبيرة عليها ، وظل في حرب معها حتى تم القضاء عليه سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م(ابن الأثير : الكامل ، ج٦، ص٢٠٦-٣٣٥) .

٥ - أبو الفداء: المختصر ، ج٢،ص٤٨.

٦ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٣٥٠. ابن الأثير : الكامل ،ج٦، ص٢٣٢-٢٣٣. أبو الفداء: المختصر ، ج٢،ص٤٨ . ابن الوردي : : تاريخ ابن الوردي ،ج١، ص٢٢٦. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٣.

لقد سيطر يعقوب على معظم البلاد ، واصبح يمتلك أكبر قوة في المنطقة ، ولم يبق أمامه إلا التخلص من بني طاهر ، والسيطرة على بقية البلاد التي يحكمونها بما فيها خرسان ، لأن محمد بن طاهر كان يأوي المنافسين له على سجستان ، والحاقدين عليه لاستيلائه على بلادهم ، والذي شجعه أكثر على تحقيق غايته ؛ ضعف الخلافة العباسية وانشغالها بحرب الزنج ، وكذلك ضعف الطاهريين لكثرة الحروب التي قاموا بها ضد الخارجين عن الخلافة ، وهذا كفيلاً بتحطيم قوتهم مهما كانت ، وزاد الأمر سوء انشغال محمد بن طاهر بملذاته ولهوه ، مما شجع أقاربه على مراسلة يعقوب بن الليث واستدعائه إلى خراسان للاستيلاء عليها[1].

وعندما توفرت ليعقوب بن الليث كل المعطيات ، أعد جيشاً وتوجه نحو نيسابور واستولى عليها سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م ، وقبض على محمد بن طاهر وأفراد أسرته ، وأخذهم أسرى إلى سجستان حيث تم وضعهم في السجن[2] ، وقيل تم حملهم إلى قلعة بم بكرمان[3] وبذلك يكون قد أزال حكم بني طاهر عن خرسان.

وأمام هذا الحدث الخطير وخوفا من رد فعل الخلافة وغضبها عليه ، أرسل يعقوب بن الليث بكتاب إلى الخليفة المعتمد يوضح فيه أنه لم يقم بالاستيلاء على خراسان ، إلا باستدعاء من أهلها ، لعجز محمد بن طاهر عن صد هجمات الخوارج ، وانشغاله بلهوه ، وغلبة الحسن بن زيد العلوي على طبرستان ، لكن الخليفة رفض هذا المبرر وغضب غضباً شديداً لخطورته ، فلم ينكر عليه فعله فقط أو يتلطف معه ، بمطالبته بالخروج منها وإطلاق سراح محمد بن طاهر وأفراد أسرته ، مقابل تعويضه ببلاد جديدة كما فعل عند استيلائه على فارس سنة ٢٥٧هـ/٨٧٠م ، بل كان رده يحمل في ثناياه التهديد بالحرب إذا لم ينسحب من خراسان بقوله في الرسالة:" إن أمير المؤمنين لا يقر يعقوب على ما فعل ،

١ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،ج٤،ص٣٢٣. البيهقي . أبو الفضل محمد بن حسين(ت٤٧٠هـ/١٠٦٦م) : تاريخ البيهقي ، ص٢٧٠-٢٧١، ترجمة إلى العربية/يحي الخشاب و صادق نشأت ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

٢ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠،ص٣٨٢. ابن الأثير: الكامل ،ج٦، ص٢٤٢. النويري . شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/م) : نهاية الأرب في فنون الأدب ،ج٢٢، ص٣٢٩، تحقيق/د. محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة ابراهيم مصطفى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. الذهبي: العبر في خبر من غبر ،ج١، ص٣٧٢، تحقيق/ ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١/١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، دار الكتب العلمية بيروت.

٣ - اليعقوبي : كتاب البلدان، ص٣٠٨، بريل، ليدن، ١٨٩٢م، دار صادر ، بيروت.

وأنه يأمره بالانصراف إلى العمل الذي ولاه إياه ، وأنه لم يكن له أن يفعل ذلك بغير أمره ، فليرجع ، فإنه إن فعل كان من الأولياء ، وإلا لم يكن له إلا ما للمخالفين"١ .

إن الخلافة خافت من يعقوب بن الليث بعد سيطرته على خراسان ، وإسقاطه لحكم الطاهريين أهم حلفائها المخلصين في بلاد المشرق الإسلامي ، لأنه صار أقوى حاكم في المنطقة ، وأصبحت دولته كبيرة وقريبة من العراق ، ولا تستبعد مهاجمته لبغداد في أي وقت، خاصة وأنه لا يحترم الخلافة التي من أجلها أنشئت فرقة المتطوعة في سجستان .

ومما يوكد مخاوفها منه أن التهديد الذي حملته رسالة الخليفة ، لم يُلتفت إليها أو يُنظر إليه بعين الاعتبار من قبل يعقوب بن الليث ، وبدلا من تنفيذ ما طلب منه ، نجده يتجه إلى تحقيق أهدافه التوسعية بالقضاء على منافسيه ، وفي الوقت نفسه يظهر للخلافة ولإتباعه أنه يقوم بالدور نفسه الذي كان يقوم به الطاهريون ، فعندما تمكن من القضاء على زعيم الخوارج وقتله ، أرسل رسله إلى بغداد ومعهم رأسه وكتاب يقول فيه :"هذا رأس عدو الله عبدالرحمن الخارجي بمراه ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة قتله يعقوب بن الليث"٢.

وكان يظن أنه بقتله لهذا الخارجي ، يكون قد أثبت طاعته وحسن ولائه للخلافة ، وبالتالي سيُفرحها لتخلصها من ألد أعدائها، لأن هذا الرجل مكث يحارب الخلافة ثلاثين سنة ولم يظفر به أحد، ولكنها لم تنظر إلى ما قام به من إنجاز ، ولم ترد عليه ربما لاعتقادها أن يعقوب يشكل خطراً عليها ، أكثر من عبدالرحمن الخارجي الذي لا يتجاوز خطره منطقة هراة، وأن ما قام به في الأساس يخدم دولته قبل الخلافة ، لأنه قضى على عدو متربص به قد ينقض عليه في أي وقت.

وأخذ يعقوب بن الليث في التوسع والقضاء على منافسيه ، وكان يغلف حروبه ضد أعدائه بغلاف شرعي ، وذلك باسم الخلافة العباسية، حيث توجه نحو طبرستان سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م، للقضاء على صاحبها الحسن بن زيد العلوي المعادي للخلافة العباسية ، والحق به العديد من الهزائم ، لدرجة أنه هرب إلى بلاد الديلم ، وملك يعقوب الكثير من بلاده ، وكان السبب الحقيقي لخروج يعقوب إلى طبرستان ، ملاحقة عبد الله السجزي الذي فر من خراسان بعد سقوطها بيده إلى طبرستان، ورفض الحسن بن زيد تسليمه ليعقوب ، عند ذلك خرج لقتاله ، ولم يكن خروجه دفاعا عن الخلافة أو غضبا لها ، لكنه وظف أعماله تلك لكسب ود الخلافة على اعتبار أن الحسن بن زيد

١- الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٢٨٢-٣٨٣. ابن الأثير : الكامل ،ج٦، ص٢٤٢. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٣.
٢ – الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٣٨٣. ابن كثير : البداية ، ج١١، ص٣٤.

ضد الخلافة ، ولعلها بعد تحقيقه تلك الانتصارات تتجاوز عنه لاستيلائه على خراسان ، وبالفعل كتب يعقوب إلى الخلافة بما حققه ضد عدوها الحسن بن زيد١.

وعلى الرغم من عدم حصوله على جواب الخلافة ، وصمتها بالتأكيد يعني أنها ما تزال غاضبة عليه ، وتدرك أنه يكذب ويراوغ للهروب من تنفيذ الانسحاب من خراسان ، وهو بالمقابل لم يهتم بالرد منها ؛ لأن كل ما يحققه يصب في مصلحته بالمقام الأول .

لقد زادت العلاقة بين الخلافة ويعقوب سوء ، فبدلاً من انسحابه من خراسان إرضاء لها ، نجده يقوم سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م، بالتوجه نحو الري ويطلب من أميرها الخروج منها وتسليمه المدينة ، لأن أمير المؤمنين قد ولاه إياها ، وليس بيده ما يثبت صحة قوله ، ويبدوا أن الهيبة والقوة التي يتمتع بها يعقوب ، قد جعلت الوالي على الري يسلمها له دون التحقق من صحة قوله ، ولما علم الخليفة أنكر ذلك الأمر وعاقب غلمانه٢، ولكن ماذا ينفع العقاب بذهاب الري .

وكان لطموحات يعقوب وكذبه على الخليفة وعدم احترامه ، أثر سيء على الخلافة ، وزاد الأمر سوء سياسته في البلاد التي يحكمها ، القائمة على ظلم وتعسف الأهالي بمصادرة أموالهم ، مما جعلهم يضجون منه حتى أن جماعة من أهالي جرجان ، خرجوا إلى بغداد يشكون للخليفة مما لحق بهم من ظلم يعقوب ، فغضب وعقد العزم على الخروج لقتاله٣ ، ولم يكن أمامه غير ذلك لأنه إمام المسلمين وعليه يقع رفع الظلم عنهم ، لذلك طلب الخليفة المعتمد من عبيدالله بن عبدالله بن طاهر بن الحسين والي العراق في صفر سنة٢٦١هـ/٨٧٤م ، أن يجمع حجاج خراسان وطبرستان وجرجان والري ، فجمع حجاج سائر أهل المشرق ، وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ومما جاء فيه :" أن الخليفة لم يول يعقوب بن الليث خراسان ، ويأمرهم بالبراءة منه ، إنكارا لدخوله خراسان وأسره محمد بن طاهر"٤، وعمل من هذا الكتاب ثلاثين نسخة ، وأرسل إلى كل مدينة بنسخة لينتشر الخبر في الآفاق بغضب الخليفة على يعقوب٥ .

---

١ – الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٣٨٤-٣٨٦. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٢٤٦. الذهبي : العبر ،ج١، ص٣٧٣. الصفدي : الوافي ، ج٢٨،ص٥٨. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٣.

٢ – ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤١٢. الذهبي: تاريخ الإسلام ، ص٢٠٥.

٣ – ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤١٢.

٤ – الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٣٨٨. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤١٢.

٥ – ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤١٢. الصفدي : الوافي ، ج٢٨،ص٥٩.

لقد سعت الخلافة إلى إلغاء الشرعية ، التي يصبغها يعقوب على أعماله ، سواء في البلاد التي يحكمها ، أو البلاد التي يسعى إلى السيطرة عليها ، وهذا الكتاب يفضح أعماله ويظهر غضب الخلافة عليه وعدم إقرارها بما يقوم به ، و لم وصل الخبر إلى يعقوب بما قامت به الخلافة ، وبرغبة الخليفة في الخروج إلى خراسان لاستعادتها منه ، خاف وتوجه نحو نيسابور لحمايتها ، ويبدوا أنه اضطرب حاله و لم تكن لديه القدرة على مواجهة جيش الخلافة ، فاضطر إلى العودة إلى سجستان في جمادى الأولى سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م ، وذلك للحفاظ على البلاد التي تحت حكمه ، بعد أن أساء إلى أهل نيسابور بأخذ أموالهم١ .

ويبدوا أن كتاب الخليفة بالبراءة من يعقوب بن الليث وإبعاد صفة الشرعية عنه قد أتت بثمارها، فقد حدث تمرد من قبل أحد اتباعه يدعى احمد بن عبدالله الخجستاني ، الذي خلع طاعة يعقوب وتغلب على نيسابور سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م٢ ، وأعلن طاعته وولائه للطاهريين ، حتى أنه كان يحكم باسمهم ، وبلغ حبه لهم أنه كان يكتب في كتبه احمد بن عبدالله الطاهري وليس الخجستاني ، وظل معارضاً للصفاريين مقاتلاً لهم حتى قتل سنة ٢٦٨هـ/٨٨١م٣.

كما أن الخليفة لم يكتف بعزل يعقوب بن الليث فقط بل عمل على فتح عدة جبهات ضده لإنهاكه والقضاء عليه، أو على الأقل إضعافه وإشغال باله عن التفكير في السير نحو بغداد ، فربما تؤتي هذه الخطة ثمارها ويكفيه مؤنة الدخول في حرب معه، وذلك أنه كتب الكتب إلى الوجهاء وأصحاب النفوذ بتوليتهم كل في منطقته٤.

إن كل الأعمال التي قام بها الخليفة المعتمد لإضعاف يعقوب بن الليث ، لم تؤثر في وضعه لتميزه بالدهاء السياسي ، والقدرة على كسب أتباعه إلى صفه، وهذا ما حدث فعلاً فلم نجده يخاف أو يتأثر، وبالتالي يسعى إلى كسب ود الخليفة ليسامحه على عصيانه ومخالفته لأوامره، وأن يبقيه والياً على البلاد التي تحت دائرة نفوذه ، بل نجده يتحدى الخليفة ولا يقيم له وزن ويحشد جيشه ويتوجه إلى فارس في شوال سنة٢٦١هـ/٨٧٤م ، تلك الولاية التي تتبع الخلافة مباشرة ، والاستيلاء عليها من محمد بن واصل وضمها إلى أملاكه ، ورتب بها عماله وأصلح أحوالها ، على الرغم من أن الخليفة قد نهاه عن

---

١ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤١٣.

٢ - المقدسي . المطهر بن طاهر: البدء والتاريخ، ج٦، ص١٢٤، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر .

٣ - ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٢٦٤-٢٦٩ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٢٣-٤٢٤.

٤ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤١٢.

الاستيلاء على فارس، لكنه لم يعمل أي اعتبار لكلامه وتجاوز أوامره أمام أطماعه التوسعية فيها وفي أموالها التي بلغت أربعين ألف ألف درهم١ .

وبسقوط فارس بيد يعقوب بن الليث ، أصبحت حدود بلاده مع العراق ، وطمع في الاستيلاء على الأهواز ، وهي بوبة العراق ، فسار من فارس إليها في شهر محرم سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م، وعقد العزم على الوصول إلى بغداد ولقاء الخليفة٢.

وعندما وصلت الأخبار بتوجه يعقوب بن الليث نحو بغداد ، اضطرب حال الخلافة العباسية حتى أن الخليفة المعتمد انتقل من سامراء إلى بغداد ، وتغيرت سياستها تجاهه من سياسة الشدة والصرامة بعد استيلائه على خراسان ، إلى سياسة اللين والمهادنة ببذل المزيد من التنازلات لم يكن يعقوب يحلم بتحقيقها ، وكان يعقوب عندما وصل إلى الأهواز قد أرسل حاجبه بكتاب إلى الخليفة يطلب منه توليته خراسان وفارس وشرطتي بغداد وسامراء والري وطبرستان وجرجان وأذربيجان وكرمان وسجستان، وأن يحضر من قرأت عليهم الكتب التي نسخت في دار عبيد الله بن عبدالله بن طاهر، ويقرأ عليهم خلاف ما قرأ عليهم أولا ، ليبطل ذلك الكتاب بهذا الكتاب٣.

وأمام هذا الضغط النفسي والحربي الذي يمارسه يعقوب ضد الخلافة ، لم يكن أمامها من خيار سوى تلبية طلبه سريعاً، حتى يتم إيقاف الزحف نحو بغداد وتتجنب الصدام معه ، فقامت الخلافة بتنفيذ ما طُلب منها ، فتم إطلاق من كان في الحبس من اتباعه، ودعا الخليفة جماعة من التجار وأعلمهم أنه أمر بتولية يعقوب ما طلب من البلاد ، وارسل إليه الخليفة بوفدٍ يحمل إليه الخلع والتقليد بذلك٤ .

إن الخلافة كانت مجبرة لتنفيذ مطالب يعقوب ، وتقديم تلك التنازلات لعجزها عن المواجهة ، وحتى لا تفتح على نفسها جبهة جديدة إلى جانب جبهة الزنج ، وكان الخليفة المعتمد مقهوراً مع أخيه الموفق أثناء تنفيذ المطالب ليعقوب٥، وعلى الرغم من كل التنازلات التي قدمتها الخلافة ، نجد يعقوب

١ – الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٣٩٠. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٢٥٢. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٣، ص٣٦ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٤.

٢ – ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٤.

٣ – ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤١٣. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٢٠٦. الصفدي : الوافي ، ج٢٨،ص٥٩.

٤ – الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٣٩٢. ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٢٦٠. اليافعي: مرآة الجنان ، ج٢، ص١٧٥. ابن العماد الحنبلي. أبو الفلاح عبد الحي(ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،ج٢،ص٢٩٨، المكتب التجاري ، بيروت .

٥ – الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٢٠٦.

يغير رأيه عندما وصل وفد الخليفة إليه ، ويرفض كل ما عرض عليه وعاد الوفد إلى الخليفة وأعلموه أن يعقوب يقول :" إنه لا يرضيه ما كتب إليه دون أن يصير إلى باب السلطان "١.

وهناك روايات مختلفات حول رغبة يعقوب بن الليث في التوجه نحو بغداد وتحديه للخلافة ، الرواية الأولى أنفرد بها المقدسي٢ تذكر:" بأن عبدالله بن الواثق قصد يعقوب بن الليث واستعان به على المعتمد وذلك الذي أطمعه في قصد بغداد"، ويفهم من هذه الرواية على وجود صراع بين الخليفة المعتمد ، والطامح لعرش الخلافة عبدالله بن الواثق الذي يرغب في أن يحل محل المعتمد ، وحتى يحقق هدفه استعان بالقوة الجديدة القادمة من المشرق الإسلامي ، فكان هذا الطلب فرصة ثمينة ليعقوب شجعه على التحرك نحو بغداد ، للسيطرة على العراق ومنها على دار الإسلام ، والحكم باسم الخلافة .

أما الرواية الثانية فتذكر أن الذي حرك يعقوب نحو بغداد انه أعلن العصيان على الخلافة بعد مبايعة الباطنية وانضمامه إليهم٣ .

بينما الرواية الثالثة فتذكر أن الذي حرك يعقوب بن الليث نحو بغداد ، رغبته الجامحة في الاستيلاء على العراق والسيطرة على الخلافة٤.

وأمام هذه الروايات نرجح الرواية الثالثة ، لأسباب عديده وهي : وجود النزعة الفارسية لدى يعقوب بن الليث ، ليس في القضاء على نفوذ الخلافة في بلاد فارس وخراسان ، واستعادة السلطان الفارسي على تلك البلاد تحت رئاسته كما يذكر البعض٥، بل في القضاء على الخلافة العباسية ، ولو كان الأمر خلاف ذلك لأحترم عرض الخلافة المقدم له ، وقبل حكم البلاد التي ولاه الخليفة إياها وأرسل له تقليد بذلك ، لكنه قابل العرض بالرفض لعدم قناعته به ، كونه يطمح في حكم دار الإسلام ليعيد مجد الإمبراطورية الفارسية التي قضى عليها الإسلام ، وبلغ به الأمر أن أتباعه كانوا يلقبونه بلقب

---

١ – الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٣٩٢. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٢٦٠.أنظر أيضاً: ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤١٣. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٢٠٦. الصفدي : الوافي ، ج٢٨،ص٥٩. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٤.

٢ – البدء والتاريخ ، ج٦ ، ص١٢٥.

٣ – نظام الملك : سياست نامه ، ص٢د.

٤ – الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٢٠٦. العبر ،ج١، ص٣٧٦. اليافعي: مرأة الجنان ،ج٢ ، ص١٧٥. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ، ج٢ ، ص٢٩٨.

٥ – محمود عرفة محمود(دكتور): الدول الإسلامية المستقلة في المشرق وعلاقاتها بالخلافة العباسية ، ص١٤٧، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م .

أمير المؤمنين١، وهذا اللقب لم يتلقب به أمراء وسلاطين الدول المعاصرين له ، فهو لقب لا يحمله إلا خليفة المسلمين ، وبلغ به الحقد في القضاء على الخلافة الإسلامية إلى حد الاستعانة بالمسيحيين لتحقيق غرضه، فكان للنصارى فرقة ضمن تكوين جيشه كانت على أعلامهم الصُّلْبان٢، ومثل هذا العمل أخاف الخليفة جعلته يشتكيه إلى المسلمين٣. ولم يشاركه في الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه، إلا مرداويج بن زيار(ت٣٢٢هـ/٩٣٣م) مؤسس الدولة الزيارية في طبرستان وبلاد الجبل ، الذي كان يميل إلى المجوس ، وكان يريد قصد العراق للقضاء على الخلافة العباسية ، ينادي صراحة بأنه يسعى إلى تكوين دولة أعجمية تمحق دولة العرب٤، لكن هدفه لم يتحقق لأن الخلافة عرفت نواياه السيئة وعملت على وئدها من خلال محاربته وتحجيم نفوذه ، وهذه نوايا الفرس على مر العصور ، فلم يذكر لنا التاريخ وجود أي قوة تدين بالإسلام ، ترغب في محاربة الخلافة وتسعى للقضاء عليها ، عدى أعداء الإسلام مثل التتار الذين اجتاحوا بغداد وتم قتل الخليفة، وإسقاط الخلافة العباسية والسيطرة على العراق سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، أما الدولة الفاطمية الشيعية في مصر التي تختلف مع الخلافة العباسية عقائدياً ، فكانت تسعى إلى الوصول إلى بغداد لإسقاطها وحكم المسلمين بالعقيدة الإسماعيلية بدلاً عنها.

ويوجد رأي ذكر مؤخراً أن سبب زحف يعقوب نحو بغداد ، غضبه من موقف الخلافة العدائي نحوه، ومحاولتها التخلص منه٥، ولم يذكر عصيانه للخلافة بعدم الخروج من خراسان وقيامه بالقضاء على الطاهريين ، ثم رفضه العروض التي قدمتها الخلافة له.

ولعل الذي جعل يعقوب بن الليث يمتلك الجراءة الكبيرة في تحدى الخلافة ، وإعلان الحرب عليها بدون خوف أو تردد، جيشه الذي يدين له بالولاء التام ، والطاعة العمياء في تنفيذ أوامره بدون تردد ، والذي جعلهم هكذا ، حسن سياسته فيهم فكان يرعاهم ، ويغدق عليهم الأموال ويهتم بشؤن

---

١ - المسعودي : مروج الذهب ، ج٤، ص١١٤.

٢ - الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٢٠٧.

٣ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٣٩٤-٣٩٥. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤١٧-٤١٨.

٤ - مسكويه . أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) :كتاب تجارب الأمم،ج١، ص٣١٧-٣١٨، شركة التمدن الصناعية بمصر المحمية، ١٣٣٣هـ /١٩١٥م. ابن طباطبا . محمد بن علي (ت٧٠٩هـ/ ١٠٣٩م):الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص ٢٨٠ ، دار صادر ،بيروت. ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ،ج١، ص٢٥٨. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ،ج٢،ص٤٩٤. متز. آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص٣٩، ترجمة/محمد عبد الهادي أبو ريده، ط٢/١٩٩٥م،الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٥ - عصام الدين عبد الرؤف(دكتور): الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص١٩، دار الفكر العربي .

أحوالهم ، وفي الوقت نفسه يحاسبهم على أخطأهم، فكانت له الهيبة في قلوبهم، ويذكر لنا المسعودي١ عن تلك السياسة بقوله :" وكانت سياسة يعقوب بن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك في الأمم الغابرة من الفرس وغيرهم ممن سلف وخلف، وحسن انقيادهم لأمره ، واستقامتهم على طاعته لما كان قد شملهم من إحسانه ، وغمرهم من بره ، وملأ قلوبهم من الهيبة".

وفي ظل التلاحم بين القيادة والأفراد ، والاستعداد للقتال ، زحف يعقوب من عسكر مكرم٢ بجيشه الذي يبلغ سبعين ألف رجل٣، صوب بغداد لمحاربة الخليفة ، وما يلفت الانتباه إلى أنه أثناء سيره كان يحاول أن يقنع أتباعه بأن قتاله للخليفة هو دفاعاً عن الدين،" وأنه خرج منكراً على المعتمد ومن معه من الموالي إضاعتهُمُ الدين ، وإهمالهم أمر الزنج "٤.

وفي الجبهة المقابلة حدث اضطراب في بغداد ، عندما وصلت الأخبار بقدوم الجيش الصفاري نحوها ، وأخذ الخليفة في إعداد العدة للمواجهة التي لا مفر منها ، وكان يحاول قدر الإمكان عدم حدوث صدام مع يعقوب ، حيث أرسل إليه الكتب خلال سيره للقتال ، يطلب منه العودة والعدول عن الحرب ، ويحذره سوء عاقبة فعله ، ومما قال له : " لا شأن لك ببغداد ، فمن الصواب أن تحتفظ بمناطق العراق الجبلية وخراسان وتتصرف بها حتى لا تنشب الفتن والاضطرابات"٥، لكنه راوغ في طلب الخليفة وقال :" لن أعود مالم أحقق أملاً يراودني "٦ وأصر على مواصلة السير لقتاله٧ ، عند ذلك أستدعى الخليفة كبار رجال الخلافة وأخبرهم بما عزم عليه يعقوب ، وبعد التشاور كان الرأي خروج الخليفة مع الجيش حتى يحدث انقسام في جيش يعقوب ، وينظم قسم منه عندما يرى أنه يقاتل الخليفة إمام المسلمين٨، ولتحقيق الخطة خرج المعتمد على رأس الجيش للقتال ، بعد أن نفذت كل

---

١ - مروج الذهب ، ج٤، ص١١٤.

٢ - عسكر مكرم : بلد مشهور من نواحي خوزستان(ياقوت الحموي : معجم البلدان. ج٤، ص١٣٩).

٣ - اليافعي: مرآة الجنان ،ج٢،ص١٧٥ .ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ،ج٢،ص٢٩٨.

٤ - المسعودي : مروج الذهب ، ج٤، ص١١٤.

٥ - نظام الملك : سياست نامه ، ص٥١.

٦ - المصدر نفسه ، ص٥١.

٧ - بن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤١٦. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٢٠٧.

٨ - نظام الملك : سياست نامه ، ص٥١-٥٢.

السبل في عدم وقوع القتال ، وكان على قيادة جيشه أخاه الموفق الذي نظمه استعداداً للقتال ، والتقى الجيشان في دير العاقول١، في شهر رجب سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م٢ .

وأتضح هدف يعقوب بن الليث بشكل جلي عندما وصل إلى أرض المعركة ، وصار جيشه مقابل جيش الخليفة ، أعلن عن هدفه صراحة ، وأرسل إلى الخليفة يقول :" سلم بغداد وأمض إلى حيث تشاء"٣، وهو يريد من خلال هذا بث الرعب بين معسكر الخليفة ، حتى يسهل له تحقيق الانتصار سريعاً ، وهذه جراءة لم يسبق لاحد أن قام بها . ويفهم من هذا أن الحرب هي الفاصل بينهما ، ولأنها حرب عقديه كان كل فريق يؤمن بأنه على حق ، لذلك كانت المعركة شديدة البأس بينهما لحسم الأمر ، وعندما حدث القتال كان النصر في بداية المعركة لصالح يعقوب بن الليث ، لانتصارهم على ميمنة جيش الخلافة ، وقتل الكثير من قادته ، غير أن الموفق ومعه الجيش ثبتوا في أرض المعركة وقاتلوا قتالاً شديداً ، وتمركز الخليفة بالقلب ثم أمر رجلاً قوي الصوت أن يقف بين الصفين ويقول بأعلى صوته :" يا معشر المسلمين ، اعلموا أن يعقوب بن الليث أعلن العصيان ، وأن غرضه من المجيء إلى هنا القضاء على بني العباس ، والمجيء بمخالفيهم مكانهم ... ان من يخالف الخليفة إنما يخالف رسول الله ، وأن من يخرج عن طاعة رسول الله عليه السلام إنما يخرج عن طاعة الله وعن حوزة المسلمين . والله ، عز وجل ، يقول في محكم كتابه العزيز { أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم }٤. }٤. والآن من ذا الذي يؤثر منكم الجنة على النار ، وينصر الحق ، ويدير للباطل ظهره فيكون معنا لا لا مع مخالفنا؟"٥، فكان لهذا الخطاب الأثر الكبير على جيش الخلافة بحثه على الثبات لأنهم يجاهدون في في سبيل الله ، وعلى جيش يعقوب الذي ما أن سمع هذا الكلام ، حتى خرج أمراء خراسان وانضموا إلى جيش الخليفة والقتال معه٦ ، بينما ثبت الآخرين بحجة :" أنه مصدر رزقنا وكل ما نحن فيه من جاه ونعمة وعظمة . سنفعل ما هو فاعل "٧، وهنا غلبت المصلحة الشخصية على الجانب العقدي ، وهذا آثر على سير العركة بشكل كبير ، فعندما اشتد القتال بين الفريقين ، حدث فتور في الجيش

١ – دير العاقول : بين مدائن كسرى والنعمانية ، بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً(ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٢ ، ص٥٢٠).

٢ – المسعودي: التنبيه والأشراف، ص٣٣٥، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣م . الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م): تاريخ بغداد، ج٤، ٦١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان .

٣ – نظام الملك : سياست نامه ، ص٥٢.

٤ – سورة النساء : آية ، ٥٩.

٥ – نظام الملك : سياست نامه ، ص٥٢-٥٣.

٦ – المصدر نفسه ، ص٥٣.

٧ – المصدر نفسه ، ص٥٢.

الصفاري وزاد الأمر سوء أن يعقوب أصيب بثلاثة أسهم في حلقه ويديه ، مما أدى في النهاية إلى هزيمته شر هزيمة ، لم يعرفها منذ بداية ظهور دولته حتى وقوع هذه المعركة مع الخلافة ، لأن الجانب العقدي فقد خلال هذه المعركة ، فقتل منهم الألاف ، وغنم جيش الخلافة من الدواب والبغال أكثر من عشرة ألاف ومن الأموال والمسك الشيء العظيم١.

وذكرت المصادر التاريخية سببين رئيسيين أدت إلى هزيمة الجيش الصفاري ، السبب الأول : انضمام الكثير من جيشه إلى جيش الخلافة والقتال معه ، لكراهيتهم قتال الخليفة "، وقد ظهر من كثير ممن مع يعقوب كراهة القتال معه إذ رأوا السلطان(الخليفة) قد حضر لقتاله ، فحملوا على يعقوب ومن قد ثبت معه للقتال ، فانهزم أصحاب يعقوب"٢.

بينما السبب الثاني : أن جيش الخلافة بعد أن كانت علامات الهزيمة واضحة في صفوفه ، قام بتفجير نهر السيب لإغراق جيش الصفار ، فتساقطوا فيه من شدة الزحام أثناء محاولتهم الهرب٣ .

ويمكن القول أن السبب الأول هو الذي أدى إلى هزيمة الجيش الصفاري ، لأنه عند العودة إلى بداية تكوين هذا الجيش نجده كان للدفاع عن الخلافة بالقضاء على الخارجين عنها ، والذي جمعهم ووحد صفوفهم هي العقيدة الإسلامية وليس الناحية القومية أو الاقتصادية أو المذهبية ...الخ ، وحاول قادة هذه الفرقة استغلالها لتحقيق مصالحهم باسم الخلافة ، وقاد يعقوب العديد من المعارك وحقق جميع الانتصارات ضد أعدائه وبسط نفوذه على الكثير من البلاد ، كان باسم الدين والدفاع عنه ، وبأوامر من الخليفة حتى يحصلوا على الشرعية ، حتى بنا دولته الكبيرة على هذا المعتقد، ولولا القتال بالدين وتحت راية الخلافة ما سيطر على سجستان ، ولكنه ظل يدق على هذه النغمة حتى وهو خارج لقتال الخليفة ، وأنساه الغرور أنه يقاتل باسمه ، لكن الموقف تغير عندما رأى هذا الجيش أنه يقاتل إمام المسلمين ، عند ذلك توقف وكره أن يقاتله بل انضموا إلى جيشه لقتال أميرهم يعقوب الذي غرر بهم

---

١ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٣٩٤. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٢٦١.ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤١٥. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٢٠٧. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٤-٣٢٥.

٢ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٣٩٤. ابـــن الجوزي .أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـــ/١٢٠٤م) : المنتظم في أخبار الأمم والملوك ،ج١٢، ص١٧٣، تحقيق/ محمد عبدالقادر عطا و مصطفى عبدالقادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، ط١/١٤١٢هـــ/١٩٩٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٢٦١. ليافعي: مرأة الجنان، ج٢، ص١٧٥. ابن كثير: البداية ،ج١١، ص٣٨. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ،ج٢ ، ص ٢٩٨.

٣ - المسعودي : مروج الذهب ، ج٤، ص١١٥. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤١٥-٤١٦. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٢٠٧. ص٢٠٧. الصفدي : الوافي ، ج٢٨،ص٦٠.

كل الفترة السابقة ، وما حصل من انتقال لهم كان أمراً طبيعياً ، ولذلك نؤكد على أن انعدام الجانب العقدي هو الذي أدى إلى هزيمة الجيش الصفاري ، أمام الجانب الأقتصادي .

وبعد تحقيق الخليفة للانتصار اتخذ بعض الإجراءات التي تعيد للخلافة هيبتها ، مثل إعادة أمير خراسان محمد بن طاهر إلى ولايته السابقة ، حيث خلع عليه الخليفة الخلع السلطانية ورده إلى عمله ، وأعطاه خمس مئة ألف درهم١، وكان قد تمكن من فك قيوده ، والهروب إلى جيش الخلافة ، وولى محمد بن واصل على فارس٢ .

وعمل الخليفة أيضاً كتاب قرئ على الناس ، وفيه : " ولم يزل الملعون المارق المسمى يعقوب بن الليث الصفار ينتحل الطاعة، حتى أحدث الأحداث المنكرة ، من مصيره إلى صاحب خراسان ، وغلبته إياه عليها وتقلده الصلاة والأحداث بها، ومصيره إلى فارس مرة بعد مرة ، واستيلائه على أموالها ، وإقباله إلى باب أمير المؤمنين مظهر المسألة في أمور أجابه أمير المؤمنين منها إلى ما لم يكن يستحقه ، استصلاحاً له ودفعاً بالتي هي أحسن ، فولاه خراسان والري وفارس وقزوين وزنجان والشرطة بمدينة السلام، وأمر بتكنيته في كتبه ، وأقطعه الضياع النفيسة . فما زاده ذلك إلا طغياناً وبغياً، فأمره بالرجوع فأبى، فنهض أمير المؤمنين لدفع الملعون حين توسط الطريق بين مدينة السلام وواسط ، وأظهر يعقوب أعلاماً على بعضها الصلبان..."٣.

إن هذا الكتاب الموجه من الخليفة كان لعموم المسلمين ، رغب من خلاله أن يعرفهم على العلاقة بين الخلافة وبين يعقوب منذ البداية وحتى وقوع المعركة ، بين فيه عصيانه واعتدائه على البلاد الإسلامية ، وصبر الخلافة عليه ومداراته وإرضائه ، درء للفتنة لكنه اصر على العصيان والمسير إلى مدينة السلام لقتال أمير المؤمنين ، ويلاحظ في هذا الكتاب وصف يعقوب بالملعون والمارق والكذاب ، لأنه يدعي طاعة الخليفة وهو يأتي بالمنكرات ، وهذا عصيان وخروج عن الطاعة ، والأهم مما ذكر اتهامه بالخروج عن شرائع الإسلام وأحكامه ، وكذلك قيامه بإظهار أعلاماً على بعضها الصلبان ، ويفهم من ذلك تحالفه مع النصارى للقضاء على الخلافة الإسلامية ، وهذا مخالف للإسلام ولما يدعيه بانه يقاتل دفاعاً عنها ، وهذا الكتاب يحذر المسلمين من القتال معه أو التضامن معه .

---

١ - الطبري: تاريخ الأمم ،ج١٠،ص٣٩٥. الذهبي : العبر ،ج١، ص٣٧٦. الصفدي : الوافي ، ج٢٨،ص٦٠. اليافعي: مرآة الجنان ،ج٢،ص١٧٥.ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ،ج٢، ص٢٩٨.

٢ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٣٩٥.

٣ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٣٩٤-٣٩٥. ابن الجوزي ك المنتظم ، ج١٢، ١٧٣-١٧٤. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤١٧-٤١٨.

على الرغم مما فعلته الخلافة تجاه يعقوب بن الليث بهدف القضاء عليه ، وبعد فرار معظم جنوده من الخدمة معه ، وفقدانه لدوابه وأمواله، لكن ذلك لم يجد نفعاً معه ، فقد ازداد عتواً ونفورا ، وأصلب مما كان عليه ، فبعد هزيمته وفراره من أرض المعركة، سار إلى خوزستان ونزل جنديسابور ، وأستقر بها حتى وفاته ، لخصوبة أرضها وكثرة ميرتها ، من نخل وزرع كثير ومياه ، فكانت واسعة الخير١، حتى أن البعض ذكر أنها أحسن الأرض منذ القدم لكثرة أنهارها ووديانها٢.

واستغل صاحب الزنج الوضع السيء ليعقوب بعد هزيمته ، فراسله وحثه على العودة إلى بغداد لقتال الخليفة ، ليتمكنا من القضاء على الخلافة ووعد بمساعدته في الهجوم ، فطلب يعقوب من كاتبه أن يكتب له {قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون}٣، وأرسل الكتاب إليه٤، وكان رداً بليغاً مختصراً لا غموض فيه ، بمعنى أنهما لا يلتقيان مع بعض في أي وقت ، ووفقا في هذا الرد إذ لو حصل تعاون فيما بينها، لحكم يعقوب على نفسه بالنهاية لحياته السياسية ، لأنه سيتناقض مع ما يقول لاتباعه الذين قادهم لحرب الخليفة حيث اتهمه بالإهمال وعدم القضاء على الزنج، وبالتالي لا يمكن أن يتحالف معهم ، وإن كان وضعه قد أصبح سيئاً وهو بحاجة إلى مساعدة ، بعدما فقد كثيراً من البلاد التي يحكمها واهمها خراسان التي سيطر عليها احمد بن عبدالله الخجستاني خلال انشغاله بحرب الخلافة٥.

وإذا ذكر أن يعقوب تميز دون غيره من ملوك الفرس بحسن السياسة مع اتباعه ، فهذا صحيح حيث أعاد ترتيب صفوف جيشه سريعاً ، بعد هزيمته القاسية وخروج معظم جيشه عن طاعته ، فلم يفقد ثقته بنفسه ويستسلم لما حل به ، بل ظل الأمل يراوده في الوصول إلى بغداد ، ولن يحدث هذا إلا بعد تأمين جبهته الداخلية ، لذلك أرسل جيشاً بقيادة عزيز بن السري نحو فارس سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م أستولى عليها من يد واليها محمد بن واصل ، الذي هرب منها لعد قدرته على المواجهة ، فتمت ملاحقته حتى تم أسره٦، ولتعويض ما فقده قام بإرسال الرسل إلى البلاد التي تحت نفوذه لجمع الأموال

١ – ابن حوقل النصيبي ، أبو القاسم محمد (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م): صورة الأرض ، ص٢٥٦، ليدن ، ١٩٣٨م ، دار صادر بيروت .

٢ – ابن خرداذبه ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) : المسالك والممالك ، ص١٧١، ليدن ، ١٨٨٩م ، دار صادر ، بيروت.

٣ – سورة الكافرون ، آية ، ١.

٤ – ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٢٦١.

٥ – ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٥.

٦ – الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٤٠٧،٤٠٣. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٢٦١ .

منها وكذلك جمع الجند١ ، وبعد توفر المال والجند أخذ في إعداد جيشه وتنظيمه استعداداً لحرب جديدة مع الخلافة .

وأخذ يتطلع إلى بغداد مرة ثانية وكأنه يقول لنفسه لا يأس مع تحقيق الطموح ، فتم تجهيز جيشه وتحرك من فارس إلى بغداد سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م ، واستولى على البلاد التي في طريقه بعد فرار العساكر والولاة منها حتى وصل الأهواز ، وحدث فيها قتال بين جيشه وبين الزنج ، لكن يعقوب أمر اتباعه بالكف عن قتالهم ، للاحتفاظ بقوته لمواجهة جيش الخلافة٢.

وفي ظل المتغيرات في جبهة يعقوب تغيرت سياسة الخلافة العباسية تجاه سريعاً ، من سياسة الشدة واللعن والتحريض عليه إلى سياسة المراضاة وكسب الود ، عندما عاد خطره على الخلافة للمرة الثانية ، بعد استعادة قوته وسيطرته على البلاد من جديد حتى وصل إلى الأهواز ، ولخطورة الموقف تذكر بعض المصادر٣، بأن الخليفة أرسل إليه رسولاً يحمل كتاباً يستميله ويتراضاه ويقلده أعمال فارس، بينما يذكر نظام الملك٤، أن الخليفة أرسل إليه في الحال رسولاً برسالة ، يستلطفه ويعاتبه على على ما حصل منه ويتجاوز في الوقت نفسه عما بدر منه ، ويستميله إلى جانبه بتوليته إمارة العراق وخراسان والمطالبة بنسيان الماضي :" ليس ثمة من هو أجدر منك بإمارة العراق وخراسان ، ولن نقدّم عليك أحداً لما لك علينا من حق خدمات كثيرة تغفر لك ما ارتكبته من خطأ . فبما أننا غضضنا الطرف عن فعلتك وكأن شيئاً لم يكن ، فما عليك إلا أن تنسى الموضوع وتمضي في اسرع وقت إلى العراق وخراسان ، وتتسلم أمور الولاية هناك ، وسأرسل إليك العهد واللواء والخلعة في أثر هذه الرسالة حتى لا يكون ثمة أي اضطراب أو فتنة" .

ومهما حدث من تباين في عرض البلاد التي قدمت له ليحكمها ، لكن هدف الخليفة الرئيسي أن يثنيه عن السير نحو العراق والصدام مع الخلافة بأي طريقة ممكنة ، وهو بهذه الرسالة قد رفع من منزلته وجعله بمرتبة الطاهريين من حيث المكانة ، وأكبر من ذلك أنه حل محلهم في إمارة العراق وخراسان ، ولم يبق أمامه إلا الموافقة لأنه حقق ما يريد.

---

١ – نظام الملك : سياست نامه ، ص٥٣.

٢ – الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٤٠٧–٤٠٨. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٢٧١–٢٧٢. النويري : نهاية الأرب ، ج٢٢، ٣٣٣. ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ،ج١، ص٢٢٩. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٦.

٣ – ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٢٨٣. ابن خلكان: وفيات الأعيان ،ج٦، ص٤٢١. الذهبي: تاريخ الإسلام ، ص٢٠٨.

٤ – سياست نامه ، ص٥٣.

والمفروض أن يقبل يعقوب هذا العرض بعين الرضا ؛ بعد أن اضطربت أحواله و لم يعد بنفس القوة التي كان عليها قبل الحرب مع الخلافة ، غير أن الحقد قد ملئ قلبه ، وحب الانتقام والقضاء على الخلافة كان الطاغي على تفكيره ، فلما قرأ الرسالة لم يتجاوب معها وأصر على موقفه ، وقال للرسول:" اذهب وقل للخليفة ، أنا ابن صفّار تعلمت الصفارة عن أبي . كان طعامي خبز الشعير ، والسمك والبصل، والكراث أما الملك والكنوز والثروة فنلتها بجدي وجهدي وشجاعتي ، لا إرثاً عن أبي، ولا هبة منك . إنه لن يقر لي قرار مالم أبعث برأسك إلى المهدية ، وأقض على آلك. فإما أن أنفذ ما قلت، وإما أن أبقى على ما أنا فيه من أكل خبز الشعير والسمك والبصل . لقد فتحت الكنوز واستدعيت الجيوش ، وهاناذا قادم في أثر هذا الرسول وهذه الرسالة"١.

إن هذه الرواية التي انفرد بها نظام الملك دون غيره من المصادر – حسب علمنا – تتفق في شطر منها مع بقية المصادر التي أوردت الرد للرسول بقوله :" قل للخليفة إنني عليل فإن مت فقد استرحت منك واسترحت مني وان عوفيت فليس بيني وبينك إلا هذا السيف حتى اخذ بثأري أو تكسرني وتعقرني وأعود إلى الخبز والبصل"٢، والرويتان تتفقان على تصلبه في الرأي بضرورة قتال الخليفة ، وتفترقان من حيث السبب ، فالمصادر تذكر السبب بانه رغبة في الانتقام مما حل به وهو الأقرب للواقع. بينما ذكر نظام الملك اعتناق يعقوب للعقيدة الإسماعيلية ، وقتاله للخلافة العباسية مبني على ذلك ، مما يجلنا لا نميل إلى هذا القول ، والذي يؤكد هذا ذكر مدينة المهدية التي لم تكن موجودة في ذلك التاريخ لأنه بداء البناء فيها سنة٣٠٢هـ/م والانتهاء سنة ٣٠٥هـ/م ، إضافة إلى أنه قد سبق له السيطرة على أكثر بلاد المشرق ، فلماذا لم يقم الخطبة للإمام الإسماعيلي فيها .

وكيفما كان الأمر المهم أن الرسول عاد محملاً بالتهديد والوعيد للخليفة ، الذي سيتأثر و لم يبق عليه سوى إعداد العدة للمواجهة ، غير أن هذا التهديد زال ، والغمة فرجت ، ليس بسبب انتصار الخلافة ، وإنما بوفاة يعقوب بن الليث في شوال سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م.

العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة الصفارية في عهد عمرو بن الليث :

تولى عمرو بن الليث الحكم بعد وفاة أخيه ، وفي عهده تغيرت سياسة الخلافة نحوه إلى الأفضل ، لأن كل طرف كان بحاجة إلى ذلك ؛ فالخلافة ماتزال في حرب مع الزنج وترغب في التفرغ للقضاء عليها ، بينما عمرو يرغب في التهدئة لإصلاح أحوال بلاده ، والقضاء على الخارجين عنه ، وأمام

١ – المصدر نفسه ، ص٥٤.

٢ – ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٢٨٣. ابن خلكان: وفيات الأعيان ،ج٦، ص٤٢١.

رغبة الطرفان للهدوء ، أرسل عمرو إلى الخليفة المعتمد بكتاب يقول فيه بأنه سامع له ومطيع١، وطلب من الموفق أبو احمد طلحة أخو الخليفة أن يتولى ما كان لأخيه من البلاد٢، والسبب في طلب حكم البلاد من الموفق وليس الخليفة، أن الخليفة قد ولى الموفق بلاد المشرق الإسلامي سنة٢٦١هـ/٨٧٤م٣.

رحبت الخلافة بطلب عمرو ، فولاه الموفق خراسان وفارس وأصبهان وسجستان وكرمان والسند ، والشرطة ببغداد ، وأشهد له بذلك ، ووجه كتابه إليه بتوليته مع الخلع٤، وقيل بل استنابة على بلاد المشرق٥ ، وفي المقابل قابل عمرو موافقة الخلافة على ذلك بالاحترام ، وتقرب منها أكثر حيث أرسل للخليفة عمود من ذهب٦، ولأنه يعرف مكانة الطاهريين لدى الخلافة ، فرغب أن يوطد علاقته بالخلافة بواسطتهم ، ليثبت أنه لا فرق بين البيتين ومدى طاعته وولائه ، ولذلك قام عمرو بن الليث بتولية عبيد الله بن عبدالله بن طاهر على شرطة بغداد وسامراء كنائب عنه٧.

وظلت العلاقة بين الخلافة وعمرو منذ توليه الحكم يسودها الاحترام ، غير أن هذه العلاقة ساءت عندما حدث قتال بين جيش الخلافة بقيادة احمد بن عبد العزيز بن أبي دلف ، وبين عمرو في ربيع أول سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م ، لم يذكر سببها أو من الذي بداءها ، ولم يتجاوز القتال من الصباح إلى الظهر ، أهزم عمرو وجيشه في المعركة وأسر منهم ثلاثة آلاف رجل وأستأمن منهم ألف رجل ، وغنم جيش الخلافة ثلاثين ألف رأس من الدواب والبقر والحمير٨ .

وعلى الرغم من هزيمة عمرو شر هزيمة أمام جيش الخلافة ، ولكن ربما تكون هذه المعركة قد زرعت الخوف في بغداد من عمرو ، بعد وصول الأخبار إليها ، إلا أن هذه المعركة لم تمر مرور الكرام

١- الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٤٢٢. القلقشندي. احمد بن عبدالله (ت٨٢٠هـ/١٤٠٨م): مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، ج١،ص٢٥٩، تحقيق/عبد الستار احمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٣، ص٤٠ .

٢ – ابن خلكان: وفيات الأعيان ،ج٦، ص٤١٩.

٣ – ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٢، ص١٦٣.

٤ – الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٤٢٢. ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٢، ص١٦٣. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٢٨٤.ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤١٩. أبو الفداء: المختصر ، ج٢،ص٥٢ . ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ،ج١، ص٢٢٩. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٦. القلقشندي: مآثر الإنافة ، ج١،ص٢٥٩. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٣، ص٤٠.

٥ – الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٢، ص٥٤٥.

٦ – الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٤٢٦.

٧ – الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٤٢٢. ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٢، ص١٨٩. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٢٨٨. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٦.

٨ – ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٣٤٣.

عند الخلافة ، فكان رد فعلها قويا رغم أن هذه الحادثة هي الوحيدة التي وقعت بين الطرفين ، لكنها أرادت أن تضع له حد خوفاً من تكرارها في المستقبل ، فكان تأديبه بالغ الأثر حيث أعلن المعتمد أمام حجاج خراسان عزل عمرو بن الليث في شوال سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م عما كان قلده من البلاد ولعنه بحضرهم ، وأخبرهم أنه قد قلد خراسان محمد بن طاهر ، وأمر أيضا بلعن عمرو على المنابر١ .

إن عمرو بن الليث لم يصدر منه ما يستحق كل هذا من الخلافة ، فقد كان سامعاً ومطيعاً حتى هذه الحرب ، فلم يذكر عنه خلع طاعة الخليفة ، أو التوسع في بلاد غير التي تولى حكمها من الخلافة ، ولم يصدر عنه ما يشير إلى إعلان التمرد ، أو دعم تمرد ضد الخلافة ، والحقيقة أن الذي جعلها تفعل ذلك قضائها على ثورة الزنج سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م ، التي لولاها ما تقلد عمرو حكم البلاد التي كانت لأخيه ، فلم يكن أمامها من خيار سوى توليته حتى تتخلص من شره وتتفرغ لحرب الزنج ، وبعد القضاء عليها لم يغب عن ذهنها ما فعله يعقوب ، وربما تخوفت من تكرار ذلك الفعل من أخيه عمرو عندما يحين الوقت ، خاصة أنه كان يتلقب بلقب أخيه أمير المؤمنين٢، وقد تكون تلك الحادثة الحادثة مجرد ذريعة اتخذها الخلافة لتحقيق غايتها في القضاء على عمرو لتأمن شره .

ولم تكتف الخلافة بعزله عن البلاد التي تم توليته حكمها ، وكذلك لعنه على منابر المساجد ، بل نجدها تجرد عليه الجيوش للتخلص منه نهائياً ، فأرسلت جيشاً بقيادة صاعد بن مخلد إلى فارس في شعبان سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م لإخراج عمرو منها غير أنه لم يظفر بذلك٣، ويذكر المسعودي٤ بأن الموفق أرسله مرة ثانية سنة٢٧٢هـ/٨٨٥م ، لحرب عمرو بن الصفار وكان الجيش هذه المرة كثير، والاستعداد أفضل حتى أن الموفق خرج لتوديعه ، ويبدوا أنه سيطر عليها وأخرج عمرو منها ، وبدلاً من الاستمرار في ملاحقة الصفار والقضاء عليه ، استقر فيها ووجد أهل فارس منه الأذى لتجبره وتسلطه ، لذلك عند عودته قبض عليه الموفق وصادر أمواله٥.

---

١ – الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٥٥٦. ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٢، ص٢٤٣-٢٤٤. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٣٤١.ابن خلكان : وفيات الأعيان . ج٦، ص٤٢٤. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٢١٩-٢٢٠. ابن كثير : البداية ، ج١١، ص٥٢. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٧. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة . ج٣، ص٦٥ .

٢ – الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٢، ص٥١٦.

٣– الطبري: تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٥٥٦. ابن الأثير: الكامل،ج٦، ص٣٤١. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ،ج٤، ص٣٢٧.

٤ – مروج الذهب ،ج٤، ص٢١٠.

٥ – الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٥٥٩. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٣٤٦.

ويذكر الطبري[١] أنه في ربيع الأول سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م ، حدث قتال بين القائد العباسي احمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وعمرو بن الليث ، لكنه لم يذكر أسبابه ، وتفاصيل ما جرى فيه ، وأين كان القتال ، ومن الذي انتصر فيه .

لقد وضعت الخلافة عمرو في ذهنها وعقدت العزم على القضاء عليه ، فلم تكتف بإرسال الجيوش لقتاله بل نجد أبو احمد الموفق يعد جيشاً سنة ٢٧٤هـ/٨٨٧م، ويخرج بنفسه إلى كرمان لقتال عمرو بن الليث، وعندما وصل الخبر إلى عمرو أعد جيشاً وأرسله لقتاله ، لكنه لم يوفق لانضمام أحد قادته إلى الموفق مما جعل الآخرين يتوقفون عن قتاله ، فاستغل الموفق هذه الفرصة وسار لمطاردة جيش عمرو ومحاولة الاستيلاء على كرمان وسجستان لكنه فشل ، فاضطر للعودة إلى بغداد[٢].

إن العلاقة السيئة والحروب المتواصلة بين العباسيين والصفاريين ، توقفت فجأة وحصل الرضى من الخلافة عليه، حيث قامت في محرم سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م ، بضم شرطة بغداد إلى عمرو بن الليث، وكُتِبَ أسمه على الأعلام والمطارد[٣] والترسة[٤] ، فولى عمرو عليها عبيدالله بن عبدالله بن طاهر[٥]، ولم تذكر المصادر التاريخية أسباب ذلك ، وربما تكون الخلافة قد لاحظت عدم وجود نوايا عدوانية ضدها منه، كما كان في عهد أخيه يعقوب ، فقد استقر في البلاد التي أقر فيها ، دون المحاولة لضم هذه البلاد أو تلك ، فاطمأنت إليه وتقربت منه ، غير أن هذا الرضى منها لم يستمر إلا شهور فقط ، وعاد الوضع إلى سابق عهده ، لأن الخليفة المعتمد طلب من عمرو أن يتخلى عن بعض قرى السلطان في الري ، غير أنه أمتنع عن تلبية طلبه[٦]، فغضب الخليفة وأمر في شوال سنة ٢٧٦هـ /٨٨٩م بطرح

---

١ - تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٥٦١.

٢ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٥٦٢. ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٢، ص٢٦١. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٣٥١. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٧- ٣٢٨.

٣ - المطارد: جمع مِطْرَدُ : رمح قصير (ابن منظور: لسان العرب ،ج٥، ص٢٦٥٢) .

٤ - الترسة : التُّرْسُ من السلاح (ابن منظور: لسان العرب ،ج١، ص٤٢٨) .

٥ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٥٦٥. ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٢، ص٢٧٣. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٣٥٨. الذهبي : تاريخ تاريخ الإسلام ، ص٢٢٨-٢٢٩. سير أعلام النبلاء ، ج١٢، ص٥٥١ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٧. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٣، ص٧٤-٧٥ .

٦ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٨.

المطارد والأعلام والترسة التي كانت في مجالس الشرطة والتي عليها أسم عمرو بن الليث١ ، وظلت العلاقة سيئة ومنقطعة بينهما حتى وفاة الخليفة المعتمد سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م .

وعندما تولى الخلافة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م) ، بدأت في عهده صفحة جديدة في العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة الصفارية، فقد استغل عمرو بن الليث تولي المعتضد الخلافة وتقرب منه بإرسال رسولٍ محمل بالهدايا له، وطلب منه ولاية خراسان، فتمت الموافقة وأرسل الخليفة مع الرسول خلع ولواء عقده له على خراسان ، ومن شدة فرح عمرو بعودة العلاقة مع الخلافة، نصب اللواء في صحن داره ثلاثة أيام٢، ليعرف الناس بعودة الشرعية إلى حكمه على البلاد التي تحت سيطرته ، وكذلك رضى الخلافة عنه.

والحقيقة أن تولية الخلافة عمرو بن الليث على خراسان ، ليس حبا فيه بل كان من أجل القضاء على رافع بن هرثمة الذي تولى حكمها نيابة عن محمد بن طاهر، وصار يشكل خطراً على الخلافة لا يقل عن خطورة الصفاريين ، وساعده على تكوين قوته تلك توسعاته في المنطقة، حيث جعلته يعصي أوامر الخلافة ، فقد طلب منه الخليفة المعتضد أن يتخلى عن قرى السلطان بالري لكنه رفض٣، ووافق هذا الرفض طلب عمرو بتوليه خراسان، فتمت له الموافقة على أساس ضرب الطرفين ببعضهما، وتتخلص الخلافة من شر أحدهما بالآخر بدون تكاليف تقدمها، وهذه سياسة اتبعتها الخلافة في القضاء على أعداءها .

وعندما علم رافع بن هرثمة بتولية عمرو على خراسان ، غضب ورفض تسليمها وكانت هذه فرصة عمرو الثمينة لتقوية علاقته بالخلافة ، وإثبات طاعته وحسن ولائه لها ، بالقضاء على الخارجين عنها ، فتحرك نحو الري سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م، والتقى برافع وكانت الهزيمة من نصيب عمرو الذي قتل الكثير من أصحابه ، بعدها استقر رافع في الري بينما عاد عمرو إلى نيسابور واستولى على خراسان وعرف رافع أن الدائرة ستكون عليه ، فراسل محمد بن زيد العلوي وصالحه، وطلب منه النجدة فوعده بأرسال أربعة آلاف رجل، وشجع هذا رافع على خلع طاعة الخليفة العباسي المعتضد بالله ، وإقامة الخطبة لمحمد بن زيد العلوي عدو العباسيين سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م، وبعد إعداد الجيش

١ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٥٦٦. ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٢، ص٢٧٣. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٣٥٨. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٢٢٨-٢٢٩. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٨.

٢ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٥٨٠. ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٢، ص٣٢٧. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٣٧١. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٢٣٨.

٣ - ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٣٧١.

تحرك رافع نحو خراسان فدخلها في ربيع الآخر سنة٢٨٣هـ/٨٩٦م ، لكن عمرو الحق به الهزيمة وفر رافع من أرض المعركة فتمت ملاحقته حتى تم قتله[١] .

ووجد عمرو من فتنة رافع فرصة للتواصل مع الخلافة ، فكان يخبر الخليفة بكل عمل يقوم به ضد رافع أول بأول ، منذ البداية وحتى مقتله وحمل رأس رافع إلى المعتضد بالله الذي فرح فرحاً شديداً، وأمر بنصبه ببغداد وأن يقرأ الخبر بمقتله على منابر المساجد يوم الجمعة٢.

وإلى جانب ما قام به عمرو وحتى يحظى باحترام الخلافة حاول أن يتقرب منها أكثر ، فأرسل للخليفة المعتضد هدايا عظيمة منها أربعة آلاف ألف درهم ، ودواب وحمير ، ومعها صنم من نحاس على هيئة امرأة لها أربعة أيد وعليها وشاحان من فضة مرصّعان بالجوهر الأحمر والأبيض ، وبين يدي هذا التمثال أصنام صغار، ومن جماله نُصب للناس ثلاثة أيام في مجلس الشرطة ليتمكنوا من مشاهدته ، ثم رد إلى دار المعتضد٣.

وهنا لم يكتف عمرو بحكم البلاد التي تحت نفوذه ، بل زادت شهيته أكثر وتطلع إلى حكم بلاد ما وراء النهر ، وهو يعلم بأنها تحت حكم السامانيين ، ومنحوا تقليد من الخليفة المعتمد على الله بحكمها منذ سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م ، على أساس إحداث توازن مع يعقوب بن الليث ، وقبلها كان السامانيون يحكمون تلك البلاد بتفويض من الطاهريين أمراء خراسان ، بأمر من الخليفة المأمون سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩م ، دون أن يصدر منهم ما يسيء إلى الخلافة أو الطاهريين ، وصار حكمهم لهذه البلاد قرابة قرن من الزمان ، وعمرو بن الليث يريد إزالة هذه الأسرة ، لا لجرم ارتكبوه حتى يستحقون الإزالة ، وإنما لأنه يريد مكافأة من الخلافة مقابل القضاء تمرد وعصيان رافع بن هرثمة .

فعندما أرسل عمرو بن الليث برأس رافع بن هرثمة إلى المعتضد بالله ، استغل ذلك النصر لتحقيق أطماعه الشخصية بالتوسع في بلاد جديده، معتقدا أنه قدم خدمات جليلة للخلافة لم يستطع بقية القادة تحقيق ذلك ، لأنه حلت بهم الهزائم، لذلك طلب من الخليفة أن يوليه بلاد ما وراء النهر مثل ما كان برسم عبدالله بن طاهر فوعده بذلك ، وأرسل له بهدايا ثمينة وولاية الري إلى جانب خراسان

---

١ - ابن الفقيه. أبو بكر احمد بن محمد الهمذاني(ت): مختصر كتاب البلدان، ص٣١٢، مطبعة بريل، ليدن١٣٠٢هـ ، دار صادر بيروت .

٢ -الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠،ص٥٩٥-٥٩٦ ، ٦٠١-٦٠٢. ابن الجوزي :المنتظم ، ج١٢،ص٣٥٩. ابن الأثير: الكامل ،ج٦، ص٣٧١-٣٧٣ ، ٣٨٨. ابن خلكان :وفيات الأعيان ،ج٦، ص٤٢٥ .ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،ج٤، ص٣٢٨.

٣ - المسعودي : مروج الذهب ، ج٤، ص١٤٨. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٣، ص٩٤-٩٥.

وذلك سنة ٢٨٤هـــــ/٨٩٧م١ ، ومع ذلك الاحترام الذي حصل عليه من الخلافة ، نجده يتكبر ويتعالى ويرفض استلام تلك الهدايا والعهد بولاية الري دون الوفاء بما وعد به الخليفة٢، ووصل به الغرور إلى الحد الذي يطلب المساواة بينه وبين عبدالله بن طاهر الذي خدم الخلافة مع بقية أفراد أسرته بإخلاص ووفاء، بينما عمرو كان يعمل الشيء ويريد مقابله ، فكان رأس رافع بن هرثمة مقابل ولاية بلاد ما وراء النهر، وعندما لا ينفذ طلبه تسوء علاقته بالخلافة ويبدأ بالمن عليها لما قدمه ، وبناء على ذلك فلا توجد مقارنة بين البيت الطاهري والبيت الصفاري.

وأمام هذا الضغط الصفاري عاد رسول الخلافة من نيسابور إلى بغداد، ليخبر الخليفة بموقف عمرو فلم يكن أمامه سوى تنفيذ ما وعد به، فقرئ في شهر محرم سنة ٢٨٥هــ/٨٩٨م على جماعة من حاج خراسان في دار المعتضد، بتولية عمرو بن الليث بلاد ما وراء النهر ، وعزل إسماعيل بن احمد الساماني عنها٣ .

وعلى الرغم مما قدمته الخلافة له إلا أن هذا لم يعجب عمرو ، فعندما وصل إليه العهد ببلاد ما وراء النهر ووضع أمامه قال لرسول الخليفة :" ما هذا ؟ قال: الذي سألته ، فقال عمرو : ما أصنع به ؟ فإن إسماعيل بن احمد لا يسلم إلي ذلك إلا بمئة ألف سيف ، فقال: أنت سألته فشمر الآن لتتولى العمل في ناحيته ، فأخذ العهد وقبله ووضعه بين يديه"٤، ويلاحظ هنا أن عمرو يعرف أن الأمير الساماني إسماعيل بن احمد لن يقبل بتسليم بلاده التي ورثها عن آبائه، وأنه سيقاتل للدفاع عنها من عمرو، الذي رغم تنفيذ طلبه من قبل الخلافة نرى أنه لم يعجبه ذلك، وكأنه يريد فوق ما قدم له، أن ترسل الخلافة بجيش يقاتل إلى جانبه، حتى يتمكن من إزالة حكم إسماعيل بن احمد من بلاد ما وراء النهر ليحل محله في حكمها .

لقد أخذت الخلافة تشعر بعودة خطر عمرو بن الليث ليس على إسماعيل بن احمد بل عليها، لأنه صار يسلك طريق أخيه يعقوب في السيطرة على أملاك الآخرين ، ولذلك لجأت إلى سياسة المراضاة معه، لأنها لا تريد أن تغضبه حتى لا يتحول ضدها، ومنحه بلاد ما وراء النهر كونها بعيدة ، وتريد في الوقت نفسه أن تشغله بهذه الجبهة القوية عنها، وتكون بذلك أبعدت نفسها عن خطره ، وفي الوقت

١ – الطبري :تاريخ الأمم ،ج١٠،ص٦١٧. ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٣٩١. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ،ج٤، ص٣٢٨.

٢ – ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٢٥.

٣ –الطبري :تاريخ الأمم ،ج١٠،ص٦٢١. ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٣٩٤ .ابن خلدون :تاريخ ابن خلدون ،ج٤، ص٣٢٨.

٤ – ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٢٦.

نفسه تدخله في حرب مع السامانيين الذين اصبحوا قوة كبرى في المشرق الإسلامي ، ولعلها تتخلص من شره .

وحاول عمرو بن الليث بعد حصوله على تقليد بحكم بلاد ما وراء النهر، أن يتقرب من الخلافة بإغداق الهدايا عليها وإظهار مدى طاعته لها ، فأرسل سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م ، أربعة آلاف ألف درهم، وعشرين من الدواب بسروج ولجم محلاة مغرقة ، ومئة وخمسين دابة بجلال مشهرة ، وكسوة وطيب وبزاة١ ، وكأنها مقابل التقليد بحكم بلاد ما وراء النهر .

وبموجب التقليد الذي حصل عليه عمرو بن الليث بحكم بلاد ما وراء النهر ، طلب من أمير بلخ[٢] وأمير جوزجان[٣] طاعته ، فقدما له الطاعة والولاء ، بحكم حصوله على تقليد من الخلافة بحكم هذه البلاد ، وبعث إلى الأمير الساماني إسماعيل بن احمد يطلب منه تقديم الطاعة مثليهما ، فغضب وهدده بالحرب وقال لرسول عمرو :" إن مولاك من الجهل بحيث يساويني بهما وهما عبدان لي وسيكون جوابي لك بالسيف وليس بيني وبينه غير الحرب فعد إليه واخبره ليعد وسائل القتال"٤ .

وحاول عمرو بغروره أن يتفاوض معه على أساس تسليم البلاد سلمياً لكنه رفض ، عند ذلك أرسل عمرو عدة جيوش لقتاله لكنها انهزمت ، وهنا لم يكن أمامه غير الخروج بنفسه للقتال ، ولما علم إسماعيل حاول أن لا يدخل معه في حرب ، فكتب إليه : إنك قد وليت دنيا عريضة وإنما في يدي ما وراء النهر وأنا في ثغر فأقنع بما في يدك واتركني مقيماً بهذا الثغر"٥.

وربما فهم عمرو بأن ذلك ضعف منه، ولم يفهم بأن إسماعيل قد الحق الهزيمة بالجيوش التي أرسلها من قبل و لم يظهر عليه الغرور ، وحاول قادة عمرو ثنيه عن قيادة الجيش بنفسه، حتى لا يقتل أو يقع في الأسر ، فينعكس ذلك على معنويات الجيش وينهار في أرض المعركة فتكون الهزيمة من نصيبهم، وقد تنهار الدولة بنهاية صاحبها، لكنه تجاوز أراءهم وسار للقتال سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م ، معتمداً على جيشه القوي والكبير ، والاستعداد لهذا اليوم فقد جهز سبعين ألف رجل بكامل أسلحتهم

١ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٦٢٤. ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٢، ص٤٠١.ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٣٩٦ .

٢ - بلخ : مدينة مشهورة بخراسان (ياقوت الحموي : معجم البلدان،ج١،ص٥٦٨).

٣ - جوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان (ياقوت الحموي : معجم البلدان،ج٢،ص٢١١).

٤ - النرشخي . أبوبكر محمد بن جعفر (ت٣٤٨هـ/٩٥٩م) : تاريخ بخارى ، ص١٢٤، تعريب وتحقيق/د. أمين عبدالمجيد بدوي ، نصرالله مبشر الطرازي ، ط٣/١٩٩٣م، دار المعارف ، مصر.

٥ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٦٣٠. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٤٠٢ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٢٦-٤٢٧. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٩.

وعددهم١، وربما أن هذا الجيش ذو العدة والعدد قد أرعب إسماعيل بن احمد صاحب الحق، وجعله يفكر في محاولة إبعاده بالأسلوب السياسي ، وكانت أخبار استعدادات عمرو بن الليث تصل إليه أول بأول، وكان الخليفة العباسي المعتمد متعاطف مع السامانيين ، لأنه يدرك أن الحق معهم ، وأن عمرو معتدي آثم ، لذلك كان يرفع من معنويات إسماعيل بن احمد في السر ، حيث كان كما قال نظام الملك٢ يبعث له الرسائل باستمرار يحرضه على قتال عمرو :" أخرج وأحمل بجيشك على عمرو بن الليث ، وخلص الملك منه...وإنك صاحب الحق أولاً، وخصالك حميدة ثانياً ، وأنا أدعو لك ثالثاً ، ولست أشك ، لهذه الأسباب الثلاثة ، في أن الله تعلى سينصرك عليه، لا تنظر إلى قلة عددك وجيشك، بل أنظر إلى قوله عز وجل :{ لك من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين}٣.

ومثل هذا الدعم المعنوي من خليفة المسلمين، سيكون لها بالغ الأثر في صفوف الجيش الساماني، ويعطيه الثقة بالنفس إلى جانب ما يتحلى به أميرهم من أخلاق حميدة ، في الثبات على أرض المعركة، وما ذكره الخليفة يجانبه الصواب إلى حد كبير ، ولكن ماذا تفعل هذه الكثرة التي يمتلكها عمرو وهم لا يمتلكون الإيمان بالهدف الذي يقاتلون من أجله ، في حين يمتلكه الطرف الآخر صاحب الحق، وفوق هذا كان الأمير إسماعيل بن احمد يمتلك من الأخلاق ما لا يمتلكه الصفاريين أو غيرهم من الأمراء والملوك الآخرين ، فكان قدوة لأفراد جيشه الذي لا شك انهم سيتأثرون بتلك الأخلاق الفاضلة ، ولذلك فعندما تقابل الجيشان على أرض المعركة عند مشارف بلخ ، كانت النتيجة هزيمة عمرو وجيشه الذين فرو من أرض المعركة ، أما عمرو نفسه فقد فر هو الآخر ، فتمت ملاحقته حتى تم أسره وإحضاره إلى إسماعيل بن احمد٤.

وعندما وصلت أخبار هزيمة عمرو بن الليث ووقوعه في الأسر إلى بغداد ، أظهر الخليفة المعتضد بالله السرور والفرح ، ومدح إسماعيل بن احمد وذم عمرو بن الليث٥ ، وخلع على إسماعيل خلع

---

١ - نظام الملك : سياست نامه ، ص٥٥.

٢ - سياست نامه ، ص٥٤.

٣ - البقرة ، آية ٢٤٩.

٤ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٦٣١. ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٢، ص٤٠١-٤٠٢ . ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٤٠٢ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٢٧. أبو الفداء : المختصر ،ج٢، ص٥٨ . الذهبي : العبر ،ج١، ص٤١٠. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٩. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٣، ص١١٨-١١٩.

٥ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٦٣١. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٤٠٢ .

السلطنة ، وقلده خراسان ، وما وراء النهر وغير ذلك١، ومن الهدايا التي أرسلها الخليفة ، مئة بدنه[٢] ديباج منسوجة بالذهب ومرصعة بالجواهر ، ومنطقة ذهب مرصعة بالجواهر وغير ذلك من الجواهر، وثلاث مئة ألف دينار ليفرقها في أصحابه ، ويبعثهم إلى بلاد سجستان لحرب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث٣ ، ويبدوا أن فرح الخلافة كان أكثر من فرح الأمير الساماني إسماعيل بن احمد ، وكل هذه الهدايا التي قدمت له عبارة عن مكافأة له على ما حققه من نصر ، وإزالة الخطر الصفاري على الخلافة، لأنه لو قدر لعمرو وأنتصر في المعركة ، ستكون بلاد المشرق الإسلامي جميعها بيده ، وستكون البلاد المقبلة بعدها بغداد .

بينما نجد الأمير الساماني التي كانت بلاده معرضة للزوال على يد عمرو بن الليث، لم يكن فرحاً ومسروراً بنفس مستوى الخليفة ، ويظهر ذلك من خلال تعامله مع خصمه عمرو في أكثر من موقف بينهما ، فعند وصوله إليه لم يتعامل معه كأسير حرب ، ويأنبه على فعله ، وعدم قبوله لنصائحه بعدم الدخول في قتال معه ، بل تعامل معه بصورة راقية جداً وكأنه مازال أميراً لم يحدث بينهما قتال كما يذكر ابن الجوزي٤ :" وجيء به إلى إسماعيل ، فقام إليه ، وقبل بين عينيه ، وقال : عزيز عليّ يا أخي ما نالك ؛ وغسل وجهه وخلع عليه وحلف له أنه لا يؤذيه ولا يسلمه"، وهذه هي أخلاق إسماعيل مع كل من يختلف معهم ، فماذا لو كانت تربطه بهم علاقة في يوم من الأيام مثل عمرو٥، فهو لا يحمل الحقد على من يسيء عليه وإنما يحفظ الجميل ولا يتنكر له ، ويتعامل بهذه الصورة دائماً مع من يقع أسيراً لديه ، وهنا يتساءل الإنسان لو كان إسماعيل بن احمد هو الذي وقع أسيراً لدى عمرو ، كيف سيكون التعامل معه وماهوا مصيره ، وكم سيلاقي من العذاب والإهانات بحجة جراءته على قتال سيده ، والأمثلة كثيرة على تعامل الصفاريين مع أعداءهم .

وبلغ من احترام الأمير الساماني إسماعيل لعمرو ، أن خيره بين المقام عنده أو أرساله إلى بغداد ، فأختار عمرو بغداد فأستجاب لطلبه٦ ، وقبل إرساله بعث إليه إسماعيل رجل يقول له :" إذا كانت

---

١ – الذهبي : العبر ،ج١، ص٤١١. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ،ج٢، ص٣٦٢.

٢ – البدنة : وَالْبَدَنُ : شِبْهُ دِرْعٍ إلا أنه قصير قدر ما يكون على الجسد فقط قصير الكمين(ابن منظور: لسان العرب ،ج١، ص٢٣٣).

٣ – المسعودي : مروج الذهب ، ج٤، ص١٨٠.

٤– المنتظم ،ج١٢،ص٤٠٢.أنظر أيضاً:الذهبي :العبر ،ج١،ص٤١١. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب،ج٢، ص٣٦٢.

٥ – الذهبي : العبر ،ج١، ص٤١١. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ،ج٢، ص٣٦٢.

٦ – الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٦٣٨. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٤٠٢ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٢٧. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٩.

لك حاجة فاطلب ، فقال عمرو : يُعنى بأولادي وأوص من يحملوني بأن يحسنوا معاملتي"١ ، ففعل إسماعيل ما طلب منه وأرسله إلى بغداد ، وربما رغب عمرو في إرساله إلى بغداد ، أنه كان يظن – والظن لا يغني من الحق شيء – أن علاقته الحسنة مع الخليفة ، ستجعله يطلق سراحه فور وصوله إليه ، لأن الخلاف كان مع السامانيين وليس مع الخلافة ن ولو كان يدرك أن نهايته السيئة ستكون على يد الخليفة ، ما ترك نار بخارى وفضل جنة بغداد.

وقيل أن الخليفة هو الذي طلب من إسماعيل إرسال عمرو إلى بغداد ، وألح عليه في إرساله٢، قد يكون رغبة في تأديبه والقضاء عليه ، ليزول خطره على الخلافة إلى الأبد ، ويكون عبرة في الوقت نفسه لبقية الأمراء الذين قد يحاولون الخروج عن طاعتها ، لأنه لو ترك عند إسماعيل بن احمد ، ربما لعفى عنه وأخرجه من سجنه ، وبالتالي يعود خطره من جديد على الخلافة ، ويكرر ما فعله أخيه يعقوب ، خاصة إذا عرفنا أن الجيش والرعية كانوا يحبونه أكثر من أخيه يعقوب ، لأنه كما قال نظام الملك٣ :" كان عالي الهمة معطاء ، وسياسياً يقظاً"، ولذلك كان من حق الخلافة أن تخاف وتلح في طلبه حتى تأمن مكره .

لذلك كانت الخلافة منتظرة بشوق لوصول عمرو بن الليث إلى بغداد ، لتشفي غليلها منه لأنه يعد من وجهة نظرها من أكبر أعداءها ، لذلك يبدوا أنها عملت خطه لإذلاله بالتشهير به في شوارع بغداد ، لينظر إليه جميع سكانها المنتظرين لوصوله أيضاً، ويسمع المسلمين في مختلف دار الإسلام ما حل به ، ولتنفيذ ذلك تم توقيفه خارج بغداد في جمادى الأولى سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م، وتم إلباسه الملابس الخاصة بالتشهير به ، فقد أُلبس دُرّاعةً ديباج وبرنس السخط ، وحمل على جمل له سنامان ، كان عمرو قد أهداه فيما أهدى للخليفة ، وسبحان الله مغير الأحوال ، فبعد أن كان عمرو يصطحب معه مئة ألف جمل٤ عند خروجه للقتال ، صار يركب جمل واحد ليس للنزهة وإنما للتشهير به ، وقد ألبس ألبس ذلك الجمل أيضاً الديباج وحلي بذوائب وأرسان مفضضة ، ثم ادخل بغداد ومر في الشارع الأعظم إلى دار الخليفة بقصر الحسني ، وعمرو رافع يديه يدعو ويتضرع ، لعل الله سبحانه وتعالى أن يستجيب ونجيه مما حل به ، وبلغ من المهانة والإذلال التي كان فيها ، أن رقت له العامة وأمسكت عن

---

١ – النرشخي : تاريخ بخارى ، ص١٢٤.

٢ – ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٢، ص٤٠٢ .أنظر أيضاً : ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ،ج٢، ص٣٦٢.

٣ – سياست نامه ، ص٥٤.

٤ – الذهبي : العبر ،ج١، ص٤١١.

الدعاء عليه ، وبعد التشهير به في شوارع بغداد ، لم يكتف الخليفة بمشاهدة منظره من قصره ، فقد أدخل عليه في مجلسه وقد جلس له وأحتفل به مع كبار رجال الدولة ليكتمل مشوار التشهير ، وفيه بالغ في إذلاله ، حيث وقف بين يديه في مجلسه على بعد خمسين ذراعاً بدون حديث بينهما ، وبعد ساعة من وقوفه قال له الخليفة : هذا بغيك يا عمرو١، و لم يزد على ذلك ، بعدها أخرج من المجلس ووضع في غرفة أعدت له ، ثم نقل إلى السجن الذي وضع فيه حتى تم قتله سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م ، وأرسل الخليفة المعتضد إلى الأمير إسماعيل بن احمد بالخلع وولّاه ما كان بيد عمرو بن الليث٢.

إن ما تعرض له عمرو في بغداد وفي مجلس الخليفة ، يعبر عن مدى الكراهية التي يحملها في قلبه ضده ، وفسر الخليفة لعمرو أمام من حضروا أن سبب التشهير به هو بغيه ، ولولاه ما تعرض لمكروه ، والحق يقال أن عمرو كان بعيداً في سياسته عن إغضاب الخلافة ، و لم يكن له نهج أخيه يعقوب في التعامل معها ، إلا أنه حمل وزره ، وربما إصراره في طلب تقليد حكم بلاد ما وراء النهر، وعدم استقباله لهدايا الخليفة بصورة لائقة ، جعل الخلافة تخافه من تكرار ما فعله أخيه يعقوب من قبل .

إن عدم اقتناع عمرو بن الليث بالبلاد التي يحكمها ، وجشعه وتهوره في السيطرة على بلاد تحكم من قبل أُسرة لديها تقليد من الخلافة بحكمها ، هو الذي أوصله إلى هذه المكانة السيئة ، والنهاية المؤسفة لحياته ، حيث أحس بهذا في اليوم الذي وقع فيه أسيراً فقال :" أصبحت أميراً وأمسيت أسيراً "٣ ، فلم يتعظ بما حل لأخيه من قبل ، وظن أنه بهداياه التي أرسلها للخلافة قد جعلها في صفه ، وهو لا يدرك أنها تريد القضاء عليه ولكنها تنتظر الفرصة المناسبة ، وعندما جاءتها فرحت وهللت لأنها حققت حلمها بإذلاله ووضعه في السجن ، وبذلك تخلصت من خطره .

ويقال أن المعتضد عند موته أمر صافي الحُرَمي بقتل عمرو بن الليث ، فلم يفعل صافي ذلك لعلمه بقرب وفاة المعتضد وكره قتل عمرو ، فلم وصل الخليفة الجديد المكتفي بالله بغداد–وكان في الرقة– سأل الوزير القاسم بن عبيد الله عن عمرو فقال أنه حي ، فسرَّ بذلك وأراد الإحسان إليه ؛ لأنه

١ – ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٢٨–٤٢٩. أنظر أيضاً : المسعودي : مروج الذهب ، ج٤، ص١٨٠. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٣، ص١١٩ .

٢– ابن الأثير: الكامل ،ج٦،ص٤٠٢. ابن خلكان : وفيات الأعيان ،ج٦،ص٤٢٧. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،ج٣، ص١١٩.

٣ – نظام الملك : سياست نامه ، ص٥٥.

كان يكثر من الهدايا إلى المكتفي ويبره براً كثيراً أيام مقامه بالري ، فخاف الوزير على مكانته ، بأن يخرجه الخليفة من حبسه ويتمكن منه ، لذلك بعث إليه من قتله سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م١.

العلاقة بين الخلافة والصفاريين بعد عمرو بن الليث :

بعد هزيمة عمرو بن الليث ووقوعه في الأسر سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م ، تكون الدولة الصفارية قد سقطت، لأن البلاد التي كان يحكمها عمرو انتقلت إلى حكم الأمير الساماني إسماعيل بن احمد ، بموجب التقليد الذي حصل عليه من الخلافة العباسية بعد انتصاره على عمرو ، فورثت الدولة السامانية أراضي الدولة الصفارية . ولكن طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث (٢٨٨-٢٩٦هـ/٩٠١-٩٠٨م) تولى قيادة البيت الصفاري ، وعمل على إعادة بناء الدولة من جديد ، فقد سيطر على بعض البلاد التي كان يحكمها جده ، فاستولى في صفر سنة٢٨٨هـ/٩٠١م على بلاد فارس ، وطرد عمال الخليفة منها، ثم أتجه في العام نفسه نحو الأهواز للسيطرة عليها ، وهنا أخذت خطورته في ازدياد على الخلافة، كونه يسير وفق خطوات أسلافه في تهديد بغداد ، وحتى يتوقف طاهر عن زحفه نحو العراق، وحاولت الخلافة معالجة الأمر بواسطة السامانيين ، على اعتبار أنهم قوة كبيرة في المنطقة ، قد يعمل طاهر لها حساب أكثر من الخلافة ، وبالفعل أرسل إليه إسماعيل بن احمد الساماني بكتاب يخبره بأن الخليفة ولاه سجستان ، ويطلب منه التوجه إليها والانسحاب من فارس ، ولم يكن أمام طاهر سوى تلبية الطلب، حيث أنسحب من فارس وتوجه نحو سجستان ، ولأن المصلحة تقتضي القضاء على ظهور فتنة تقلق الخلافة والسامانيين، لم يعترض إسماعيل بن احمد على قرار الخليفة بمنح طاهر بن محمد سجستان بعد ما حصل على تقليد منه بحكمها، وفي الوقت نفسه نجد طاهر بن محمد وافق على عرض الخلافة سريعاً، لأنه أصبح له بلد يحكمها وبصورة شرعية، بعد أن كانت جميع البلاد قد فقدت من الصفاريين، وبعد انسحابه منها أرسل الخليفة مولاه بدر إلى فارس ليتولى حكمها٢.

وتطورت العلاقة بين الخلافة العباسية والصفاريين أكثر ، في عهد الخليفة المكتفي بالله(٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠١-٩٠٧م) ، لا لشيء استجد بينهما ، وإنما نتيجة للعلاقة الحسنة التي كانت تربطه بعمرو بن الليث قبل توليه الخلافة ، لذلك رغب الخليفة في رد الجميل الذي احتفظ به والإحسان إلى

١ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٦٤٣. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٤١٢.ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٢٩-٤٣٠. أبو الفداء: المختصر ، ج٢،ص٥٨ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٩. القلقشندي: مآثر الإنافة ، ج١،ص٢٦٧. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ،ج٢، ص٣٧٤.

٢- الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٦٣٨- ٦٣٩. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٤٠٧.ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٣٢. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٩.

حفيد عمرو ، قُوطِعَ طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث على بلاد فارس مقابل مال يؤديه كل سنة ، وعقد له المكتفي عليها في جمادى الأولى سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م ، ثم حملت إليه الخلع مع العقد١، ولولا تلك العلاقة لكانت الحروب مستمرة بينهما .

وبدلاً من الاهتمام بشؤن البلاد التي أصبح يحكمها وتوطيد نفوذه فيها ، نجد طاهر بن محمد الصفاري يتشاغل باللهو والصيد في سجستان ، مما جعل الليث بن علي بن الليث يتغلب على فارس ويدبر الأمر فيها ، ولم يبق لطاهر بن محمد إلا الاسم فقط ، واشترك معه في تدبير الأمر سبك السبكري مولى عمرو بن الليث ، الذي تطلع إلى حكم فارس منفرداً لما راء من ضعف الصفاريين، وأعتقد أنه افضل منهم وله الحق في ذلك ، ولتحقيق ذلك اخذ في التخلص ممن يرى أُنهم يشكلون خطراً ، فتحالف في البداية مع الليث بن علي بن الليث ضد أحد قادة طاهر ويدعى أبا قابوس ، حتى وقع بينهما وبينه خلاف ، قد يكون السبب انفرادهما بالأمر دونه ، فخاف على نفسه منهما ، مما جعله يهرب إلى بغداد في ربيع الآخر سنة٢٩٣هـ/٩٠٥م ، وحدث الخليفة بما وقع معه ، فخلع عليه الخليفة وأحسن إليه .

وبعد نجاحه في إبعاد أحد كبار القادة في فارس ، عمل سبك السبكري على إفساد العلاقة بين طاهر بن محمد والخلافة ، بهدف إضعاف قوة الصفاريين حتى يتمكن من السيطرة على فارس بسهولة ، ونجح في ذلك عندما حرض طاهر بن محمد ضد القائد أبا يوسف واتهامه بنهب أموال فارس والهرب نحو بغداد ، ليحتمي بالخلافة ضدهم ، وهنا كتب طاهر إلى الخليفة يسأله رد أبي قابوس إليه ، ويذكر له أنه عينه على بعض بلاد فارس ، وأنه جبى المال وهرب به إلى بغداد ، وطلب من الخليفة إن لم يرده إليه، أن يحتسب له ما أخذ معه من المال ، ويخصم من المال المقرر عليه ، فلم يجب عليه الخليفة٢.

عندما ينظر إلى محتوى كتاب طاهر بن محمد إلى الخليفة بخصوص أبي قابوس ، يفهم على أنه مبني على التعالي والغرور ، ولا نعرف كيف امتلك الجراءة على مخاطبة الخليفة بهذا الأسلوب ، فهو يتخاطب معه وكان الخليفة عاملا من عماله ، وليس العكس من ذلك ، ولو كان يمتلك جزء ولو يسير من العقل لعرف أن الخليفة هو الذي أقطعه فارس تكريماً لجده ، ومثل هذا يفترض أن يقابل بالطاعة والاحترام على جميل صنعه معه ، ولكننا نجد أن طاهر بن محمد يتصرف مع الخليفة على أن بلاد فارس جزء من أملاكه ، ومثل هذا التخاطب غير الحسن مع خليفة المسلمين سيؤثر سلباً على العلاقة بينها .

١- الطبري: تاريخ الأمم ،ج١٠،ص٦٥٥. ابن الأثير: الكامل،ج٦،ص٤٢٠. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ،ج٤،ص٣٢٩.

٢- الطبري: تاريخ الأمم ،ج١٠،ص٦٨٠. ابن الأثير: الكامل،ج٦،ص٤٣١. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ،ج٤، ص٣٢٩.

ويبدوا أن التكبر صفة ملازمة للبيت الصفاري قد جبلوا عليها ، وكانت سبباً في تأزم العلاقة مع الخلافة ، فعندما نعود إلى الوراء قليلاً ، لوجدنا أن يعقوب مؤسس الدولة الصفارية عندما عقد العزم على السير نحو بغداد ، بذلت الخلافة كل ما في وسعها لثنيه عن ذلك، وأخذت تقلبه ذات اليمين وذات الشمال، ولكنها فشلت لتصلبه في رأيه فكانت الحرب بينهما ، وبعدها كرر الموقف نفسه و لم يمنعه من ذلك إلا الموت، و لم يحد عمرو عن هذا السلوك ، عندما رفض قبول هدية الخليفة بعد قتله لرافع بن هرثمة إلا بعد إرسال تقليد بحكم بلاد ما وراء النهر، فأخذها الخليفة في قلبه حتى جاءته الفرصة فكانت نهاية عمرو على يديه ، واليوم يكرر الحفيد طاهر ذلك السلوك السيء، المبني على الغرور والتعالي مع الخلافة، حيث يخير الخليفة المكتفي بالله ما بين إعادة أبا قابوس بماله إليه ، أو أن تخصم تلك الأموال من المال المقرر عليه من فارس ، ولظهور غبائه في الكتاب الذي أرسله ، لم يكلف الخليفة نفسه بالرد عليه ، ربما لأنه يعرف أنه صغير في السن، واحتراماً لجده عمرو بن الليث، جعله يغض الطرف عما صدر منه.

وبعد إحداث شرخ في العلاقة بين الصفاريين والخلافة العباسية ، لم تستقر لهم الأوضاع في فارس، لأن سبك السبكري كان يعمل على تثبيت أقدامه فيها ، بتعيين من يثق فيهم في المناصب الإدارية وقيادة الجيش، بعد هذا تم إقصاء الليث بن علي بن الليث والتغلب على فارس ، مما جعله يهرب إلى سجستان ويستنجد بابن عمه طاهر بن محمد ، الذي لم يسكت عما أرتكبه السبكري وزحف نحو فارس سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨ م ، لاستعادة نفوذه عليها، لكن سبك السبكري كان له بالمرصاد واستعد لمواجهته، وبعد معركة بين الطرفين انهزم طاهر بن محمد ووقع في الأسر، وحتى تكون فارس له بدون منافس تخلص من الصفاريين نهائياً، حيث أرسل به وبأخيه يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث إلى بغداد، وعندما وصلا إليها لم يغفر لهما الخليفة ذلك التطاول ويتجاوز عنه، ولخطورتهما على الخلافة تم وضعهما في السجن.

ويلاحظ في هذا الصراع أن الخلافة وقفت مع سبك السبكري الذي لا يمتلك تقليد بحكم فارس، وإنما هو قائد من قادة الصفاريين، ويعتبر في هذه الحالة متمرد على الوالي الشرعي طاهر بن محمد الذي لديه تقليد بحكم فارس من الخليفة ، ولكن التقليد لا ينفع صاحبه إذا كان لا يحترم الخلافة، ويتطاول عليها وفي هذه الحالة يتم التضحية به مثلما حدث لطاهر ، وبما أن فارس أصبحت بدون والي بعد إرسال طاهر وأخيه ، استغل السبكري الفرصة وطلب في الوقت نفسه من الخليفة المقتدر بالله

(٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م) ولاية فارس بالمبلغ الذي كان مقرر على طاهر بن محمد الصفاري ، فوافق المقتدر على ذلك١.

وبسقوط فارس لم يبق للصفاريين من بلاد سوى سجستان ، وتولى قيادتهم الليث بن علي بن الليث ، وهو ابن أخي يعقوب وعمرو بن الليث ، الذي سعى إلى استعادة النفوذ الصفاري على فارس من سبك السبكري ، الذي تغلب عليها وحصل على تقليد بحكمها من الخلافة ، ويعني ذلك أن المواجهة ليست معه وإنما مع الخلافة التي عينته ، وهذا يعد تطاول عليها وعلى حقوقها ، لكن الليث مثل أسلافه لم يعمل حساب للخلافة العباسية ، فتحرك بجيشه إلى فارس سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م ، ولم تكن لدى السبكري قوة تؤهله لصد الصفاريين ، لأن المدة التي تولى الحكم فيها غير كافية لإعداد العدة للمواجهة ، مما سهل للصفاريين التغلب عليها واستعادتها لحكمهم ، فلم يكن أمام السبكري سوى الهروب منها والاستنجاد بالخلافة صاحبة الحق ، وأمام هذا التطاول من الليث لم تسكت الخلافة على فعله، حيث أرسلت جيش بقيادة مؤنس الخادم للقضاء عليه وإعادة الحق إلى نصابه، وبعد معركة بينهما انهزم الليث ووقع في الأسر٢، وأخذ إلى بغداد ليوضع في السجن إلى جوار ابن عمه طاهر بن محمد الذي سبقه إليه في العام الماضي.

وبما أن الصفاريين خارجون عن الطاعة منذ بداية قيام دولتهم ، فقد قررت الخلافة القضاء على البقية الباقية منهم بصورة نهائية ، للتخلص من مشاكلهم وذلك بالتعاون مع السامانيين، ولتنفيذ ذلك أرسل الأمير الساماني احمد بن إسماعيل سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م جيشاً إلى سجستان أستولى عليها بعد أن استأمن أميرها المعدل بن علي بن الليث بعد أن علم أن أخاه محمد بن علي بن الليث الذي أرسله لقتالهم قد وقع أسيراً بأيديهم ، وبعد تحقيق هذا الانتصار ، كتب الأمير الساماني إلى المقتدر بالله يخبره بالقضاء على الصفاريين ، بانتصاره عليهم ووقوعهم في الأسر وسيطرته على سجستان ، فشكره الخليفة وأمره بأرسال سبك السبكري ومحمد بن علي بن الليث إلى بغداد ، فلبى طلب الخليفة بإرسالهما ، وعندما وصلا إلى بغداد كانا لهما المكافاة نفسها التي قدمت لعمرو بن الليث من قبل ، لأنه لا يجوز التفريق بينهما فالمساواة في العدل مطلوبة ، حيث تم التشهير بهما على الشوارع وهما على فيلين ، ثم تم نقلهما إلى السجن ليجاوروا من سبقهم من أفراد الأسرة الصفارية ، وبعد إنجاز هذا

١ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٧٠٣. مسكويه : كتاب تجارب الأمم ،ج١، ص١٦. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٤٦٤. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٣٢. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٩.

٢ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٧٠٥. مسكويه : تجارب الأمم ، ج١، ص١٦-١٧. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٤٦٥. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٣٢. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٢٩-٣٣٠.

العمل العظيم ، بعث الخليفة بالهدايا والخلع إلى الأمير احمد بن إسماعيل بحكم سجستان ١، مكافاة له على ما أنجز من العمل، وبذلك تكون الخلافة قد قضت على بقايا الأسرة الصفارية في سجستان، وتخلصت من أعظم أعدائها الذين لا يقلون خطورة عن الزنج .

وفي نهاية البحث يمكن أن نستخلص النتائج الأتية:

- أن العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة الصفارية كانت في مجملها سيئة، لأن قادتها تحولوا عن أهدافهم الرئيسية من قتال الخوارج وقطاع الطرق واللصوص دفاعاً عن الخلافة، إلى إقامة دولة خاصة بهم في البلاد التي تتبع الخلافة وحلفائها الطاهريين، فغضبت الخلافة وناصبتها العداء .

- اضطرت الخلافة في أكثر الأحيان إلى مهادنتها وتلبية طلباتها ، بل ومنحها من البلاد ما لا تحلم به ليس حبا فيها ؛ وإنما لأنها لا تريد فتح جبهة جديدة إلى جانب جبهة الزنج .

- عندما كانت الدولة الصفارية تحاول التقرب من الخلافة وتظهر طاعتها كان بهدف تحقيق أهدافها في إقامة دولة كبرى، دون الالتزام بالطاعة وتنفيذ ما يطلب منها.

- وصل يعقوب إلى أوج قوته وعظمته في السيطرة على معظم البلاد وتحقيق الانتصارات ، لأنه استغل الإيمان العقدي لفرقته من المتطوعة ، وكذلك حسن سياسته معهم ، والتظاهر بأنه يقاتل باسم الخلافة وبأوامر من الخليفة ، وعندما انعدم هذا الجانب في معركته مع الخليفة ، كانت النتيجة الهزم جيشه لأول مرة، عندما تخلى عنه أتباعه وانضموا لجيش الخليفة ، بعد ما انكشف كذب يعقوب وخداعه لهم .

- كان يعقوب يرغب في القضاء على الخلافة العباسية ليحكم باسمها ، ويعيد مجد الإمبراطورية الفارسية القديم

- كافت الخلافة العباسية أثناء صراعها مع الزنج ، أن تتجنب قدر الإمكان عدم الدخول في حرب مع يعقوب ومع أخيه عمرو في ما بعد، حتى لا تفتح على نفسها جبهة أخرى، فكانت تحاول إرضاءهما قد الإمكان، فتمنحهما بلاد جديدة لكسب ودهما .

---

١ - الطبري : تاريخ الأمم ،ج١٠، ص٧٠٦-٧٠٧. مسكويه : تجارب الأمم ، ج١، ص١٩-٢٠. ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٤٦٨-٤٦٩. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦، ص٤٣٢. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٣٣٠.

– سعت الخلافة العباسية بعد القضاء على ثورة الزنج ، إلى التخلص من الدولة الصفارية بكل الوسائل، واستمرت حتى نجحت في النهاية في تحقيق هدفها بالتعاون مع السامانيين ، فكانت نهاية الدولة الصفارية بهزيمة عمرو وأسره وإرساله إلى بغداد، فتم وضعه في السجن بعد التشهير به ثم قتله .

– وعندما حاول بعض أفراد الأسرة الصفارية إعادة الروح للدولة ، كانت علاقتهم بالخلافة سيئة فتم القضاء عليهم الواحد تلو الآخر وإرسالهم إلى بغداد ليتم وضعهم في السجن .

– كان الغالب على الأمراء الصفاريين جميعاً، التميز بصفات الغرور والتكبر والغشم، في تعاملهم مع الخلافة العباسية، على الرغم من انحدارهم من أسرة بسيطة وفقيرة، وصلت إلى قمة المجد بفضل جهودهم الشخصية، وهذه الصفات هي من دمرت علاقتهم بالخلافة العباسية ، وأزالت دولتهم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

ابن الأثير. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) .

- الكامل في التاريخ، تحقيق/أبي الفداء عبدالله القاضي، ط١/١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

البيهقي. أبو الفضل محمد بن حسين(ت٤٧٠هـ/١٠٦٦م) .

- تاريخ البيهقي ، ترجمة إلى العربية/يحي الخشاب و صادق نشأت ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

ابن تغري بردي .أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م) .

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر .

ابـن الجوزي . أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٤م) .

- المنتظم في أخبار الأمم والملوك ، تحقيق/محمد عبدالقادر عطا و مصطفى عبدالقادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، ط١/١٤١٢هـ/١٩٩٢م،دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

ابن حوقل . أبو القاسم محمد البغدادي(ت٣٦٧هـ/٩٧٧م).

- صورة الأرض ، ليدن ، ١٩٣٨م ، دار صادر ، بيروت .

ابن خرداذبه ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) .

- المسالك والممالك ، ليدن ، ١٨٨٩م ، دار صادر ، بيروت.

الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) .

- تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ،بيروت- لبنان .

ابن خلكان . أبو العباس احمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ /١٢٨٢م) .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق/إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان .

الذهبي . محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ /١٣٤٧م) .

- تاريخ الإسلام ، تحقيق/الدكتور عمر عبدالسلام تدمري، ط١/١٤١٣ه/١٩٩٣م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- سير أعلام النبلاء، تحقيق/شعيب الأرنؤط، محمد نعيم العرقسوسي، ط١/ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- العبر في خبر من غبر ، تحقيق/ أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١/ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م دار الكتب العلمية بيروت.

الصفدي. صلاح الدين خليل بن ايبك(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م).

- الوافي بالوفيات، تحقيق/احمد الأرناؤوط- تركي مصطفى، ط١/١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ابن طباطبا . محمد بن علي (ت٧٠٩هـ/١٠٣٩م) .

- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر ، بيروت.

عصام الدين عبد الرؤف(دكتور) .

- الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ، دار الفكر العربي .

ابن العماد الحنبلي. أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري ، بيروت .

أبو الفداء. الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل(ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) .

- المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبي، القاهرة.

ابن الفقيه. أبو بكر احمد بن محمد الهمذاني(ت) .

- مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل، ليدن١٣٠٢هـ ، دار صادر بيروت .

القزويني . زكريا بن محمد بن محمود(ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م).

- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت ، لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

القلقشندي. احمد بن عبدالله (ت٨٢٠هـ/١٤٠٨م).

- مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق/عبد الستار احمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت.

ابن كثير. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

- البداية والنهاية، تحقيق/احمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

محمود عرفة محمود(دكتور) .

- الدول الإسلامية المستقلة في المشرق وعلاقاتها بالخلافة العباسية، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

مسكويه . أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) .

- كتاب تجارب الأمم، شركة التمدن الصناعية بمصر المحمية، ١٣٣٣هـ /١٩١٥م.

المقدسي . شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن البناء البشاري(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م).

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه، محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .

المقدسي . المطهر بن طاهر.

- البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر .

المسعودي . علي بن الحسين (ت٣٤٥هـم٩٥٦م) .

- التنبيه والأشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣م .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس، بيروت ، لبنان .

ابن منظور. محمد بن مكرم بن علي(ت٧١١هـ/١٣١١م).

- لسان العرب ، تحقيق/عبدالله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة) .

متز . آدم .

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة/محمد عبد الهادي أبو ريده، ط٢/١٩٩٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

النرشخي . أبوبكر محمد بن جعفر (ت٣٤٨هـ/٩٥٩م) .

- تاريخ بخارى، تعريب وتحقيق/ د. أمين عبدالمجيد بدوي، نصرالله مبشر الطرازي، ط ٣ /١٩٩٣م، دار المعارف، مصر.

نظام الملك الطوسي . الحسن بن علي بن إسحاق(ت٤٨٥هـ/١٠٩٧م) .

- سياست نامه أو سير الملوك، ترجمة الدكتور/يوسف حسين بكار، ط٢/ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، دار الثقافة، الدوحة، قطر .

النويري . شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/م) .

- نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق/د. محمد جابر عبد العال الحيني ، مراجعة ابراهيم مصطفى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

ابن الوردي . زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) .

- تاريخ ابن الوردي ، ط١/١٤١٧هـ/١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

اليافعي . أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م).

- مرأة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه/ خليل المنصور، ط١/١٤١٧هـ /١٩٩٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

ياقوت الحموي. أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .

- معجم البلدان، تحقيق/فريد عبد العزيز الجندي، ط١/١٤١٠هـ/١٩٩٠م، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

اليعقوبي . احمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح(ت بعد٢٩٢هـ/٩٠٥م).

- تاريخ اليعقوبي ، تحقيق/خليل المنصور، ط١/١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

- كتاب البلدان ، بريل، ليدن، ١٨٩٢م، دار صادر ، بيروت.